السنة الثالثة والعشرون　　العدد ٨　　آب　　١٩٢٥

المشرق

خطط الشام

نظر انتقادي لحضرة الاب لامنس اليسوعي

ذكرنا في العدد السابق (ص ٥٥٦) ظهور الجزء الاول من هذا التأليف واشرنا الى ما عن لنا فيهِ من الملحوظات لدلّنا نقدمها لمؤلفهِ البارع وقد تولّى هذا الانتقاد حضرة الاب لامنس وليس من يجهل طول باعه في معرفة تاريخ الشام　　ل . ش

هذا تاريخ جديد للشام لهُ فضل ظاهر على ما طُبع سابقاً في العربية من هذا القبيل . واوّل ما يدعو القارئ الى اعتبارهِ اسم مؤلفهِ ومقامهُ اعني بهِ السيّد كرد على رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق

١　ملحوظات عمومية

ويلوح من اوّل الكتاب انّ جناب السيّد مصنّفهِ سعى الى جمع موادّهِ الواسعة من المخطوطات والمطبوعات المتعدّدة . فانّ في صدرهِ قائمة مطوّلة عدّد فيها تلك التآليف البالغة ٦٩٥ عدداً . وهذه بلا مراء تحفة جديدة لم يسبقهُ اليها كتبتُنا . وكيف لا يُسَرّ المطّلع على تلك اللائحة اذ يرى بعد تعداد المصادر العربيّة والتركيّة التي استند اليها اسماء مئة تأليف لكتبة الفرنج استقى المؤلّف من مواردها

على انّ هذا التأثير الطيّب في ذهن القرّاء يضعف نوعاً اذا ما دقّقوا النظر في القائمة المذكورة . فلا يكفي ذكر بعض التآليف الاوربيّة دون الدلالة على الطبعة التي روى عنها الكاتب مع ذكر عدد مجلّداتها . ثمّ انّ بين المطبوعات الاوربية المذكورة

ما لم يَعُد لهُ قيمة البتّة. فانَّ معجم بوليه (Bouillet) اصبح من المنشورات المنسيَّة وليس بين العلماء المستشرقين حاضراً من يستند الى تاريخ العرب لسديليو او الى تآليف غستاف لوبون الذي هو معروف كمؤلف اجتماعي ليس كعالم باحوال الشرق. وقس عليهِ تآليف مثلها كان الضرب عنها اولى وافضل. وعلى خلاف ذلك نرى جنابهُ ساكتاً عن عشرات من الكتب الجليلة التي نشرها عن الشرق عموماً واحوال الشام خصوصاً كثيرون من المستشرقين في الالمانيَّة والانكليزيَّة والايطاليَّة. ألا يَرى مثلاً السيد كرد علي ما افادنا البرنس كايتاني (Caetani) في الثلثة المجلَّدات الضخمة (Annali dell'Islam) التي جمع فيها اقدم واصدق المعلومات عن فتح العرب للشام. وكذلك لا يستطيع حاضراً احد الكتبة ان يوضح تاريخ الدولة الامويَّة ما لم يطَّلع على ما كتبهُ في هذا الصدد المستشرق الالماني ڤلهوزن (Wellhausen). ألعلَّ مكتبة المجمع العلمي في دمشق خالية من تآليف الدوق كايتاني وهو احد اعضاء ذاك المجمع المنيف. وقد اقام لهُ علماء القاهرة سنة ١٩٠٨ حفلةً حافلة حضرها الفقير كاتب هذه الاسطر مع صاحب خطط الشام فكيف لم يذكرهُ في قائمة كتبهِ ؟

ومع ايراد جنابهِ لهذه القائمة العموميَّة كنَّا وددنا لو اشار في ذيل كتابهِ في المسائل الخصوصيَّة الى التآليف التي بنى عليها معلوماتهِ مع ذكر المجلَّد والصفحة فلا يكتفي بكلام عامّ كقولهِ «قال بعضهم» فيحرمنا السهولة لمراجعة تلك المصادر المبهمة فلا نعلم من هو القائل أهو الطبري او احد المحدَّثين كسبيرو او سيديليو الخ. وكان الامر امسَّ حاجةً في تأييد الآراء التي تفرَّد بها المؤلف او خالف العلماء الثقات فلو فعل لأثبت لنا انَّهُ سبرها بمعيار النظر والانتقاد فينجو من ملامة الذين ينكرون عليهِ مراجعتهُ للكتب التي اشار اليها

٢ ملحوظات خصوصيَّة

لا نحاجُ السيد كرد علي في اطرائهِ للعنصر العربي بين عناصر الشام واسهابهِ في بيان عظم شأنهِ فانَّ منزلتهُ بين قومهِ تشفع في بعض ما لهُ من المبالغات فضلاً عن انَّ غايته في تأليف كتابهِ انَّما هي رفع مقام ذلك العنصر ادبياً وسياسياً. على اننا لا نستطيع ضرب الصفح عما كتبهُ في الصفحة ٦٥ حيث ورد «قال وكانت دمشق منازل

غسّان، فمن هو هذا «القائل» وكيف يثبت ولاية ملوك غسّان على دمشق ولو راجع جنابهُ ما كتبناهُ في هذا الشأن وعن جلق في ردّنا على الاديب امين خيرالله (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٤٣٨—٤٤٢و٦٥٨—٦٦٢) لما عاد الى هذا البحث. ونفضّل عليهِ قولهُ في الشروط القاسية التي اشترطها العرب على اهل سوريّة فكتب عنها قائلًا انها:

«من قبيل ما يقرّرهُ الفاتحون من الاحكام العسكريّة او الادارية العرفيّة كما يسمّونها اليوم وهي لا يخفى تختلف باختلاف الامم والحالات وليست اصلًا من اصول الدين»

وقد استصوبنا بالحري التمييز الذي صرح بهِ الكاتب في كلامه عن المنازعات التي قامت بين العلويين والامويين (ص ١٦٦—١٦٧) فقال:

«الخلاف بين الامويين وخصومهم من العلويين... ما هو الّا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك وليس من الدين في شيء»

الى آخر ما هناك من النظر الدقيق والتمحيص والتحقيق. وعلى ظنّنا انّ هذه الملحوظات السديدة لن تروق في اعين اصحاب الشيعة من كتبة العرفان وغيرهم إلّا انّ الانصاف دعا السيد كرد علي كما يقول الى درس المسئلة ليكشف الحقيقة دون ان يثير في النفوس احقادًا. وهذا ما اتّصلنا اليهِ بعد دروسنا المطوّلة عن خلافة معاوية وابنهِ يزيد. وجناب الكاتب مثلًا لم يحجم عن تبرير الخليفة يزيد بن معاوية والدفاع عنهُ (ص ٢٦٧) كما مدح ايضًا الامويين والمروانيين ورجالهم فقال (ص ١٦١) عن المروانيين:

«وكانت دولتهم عربيّة صرفة سارت مع المدنيّة اشواطًا مع اشتغالها بالفتح. وكان اكثر ملوك الامويين من الحزم والعلم وحسن السياسة والادارة على جانب عظيم، والرؤَاس منهم معاوية وعبد الملك وهشام. وليس كالوليد في باب الاضطلاع بما يعمر البلاد، ولا مثل عمر بن عبد العزيز في تطهير المملكة من المظالم واحياء سُنن العدل والمراحم، ولا كسليمان في بُعد النظر، وما منهم إلّا العالم والشاعر والخطيب والسياسي، وقد فُتحت عليهم الاقطار فنشروا فيها اللغة والدين على أيسر سبيل، وهذا ممّا لم يوفّق الى مثلهِ غيرهم ووضعوا أُسس النظام في الممالك التي دوّخوها وعرفوا ما يصلحها... هذا وقد كثر المخلصون لدولتهم الى اواخر ايامهم وقلّ المنتقضون عليهم المتوثّبون على خلافتهم»

ولهُ (في الصفحة ١٦٤) كلام في مشاهير الرجال في عهد بني اميّة وقوّادهم

فأحسن وانما أخذنا العجب من سكوته عن القائدين الكبيرين زياد بن ابيه والحجّاج ابن يوسف . أفيكون خاف من انتقاد بعض المتطرّفين الذين يحملون بها كهولة الصبيان ولهما ما لهما من الفضل على الدولة الامويّة

وقد سها جنابهُ بقولهِ (ص١٤٥) ان الغذقونة التي غزا بها الروم يزيد بن معاوية «من قلقية» . والصواب انها مدينة خلقيدونية الواقعة بازاء الاستانة . وكذلك قرية بوصير التي بها قُتل الخليفة مروان بن محمد ليست في الصعيد (كما قال في الصفحة ١٦١) وانما هي قريبة من القاهرة (١ . وكذلك ورد في الصفحة ذاتها «انَّ عَلَم بني أميّة نُصب في بكين عاصمة الصين» وهو حادثٌ كنّا نجهلهُ ويا ليت السيد كرد علي اثبت في ذيل الصفحة الى ايّ تأليفٍ اسند هذا القول مع بيان مجلّده وصفحته

٣ ملحوظات اخرى

يؤخذ من كلام جناب مؤلف الخطط (ص ١٠١) ان عهد الملك الروماني كان نكبةً على بلاد الشام . ومن قولهِ ان الرومان :

«كثيرًا ما كانوا يبيعون ابناءهم (يريد ابناء اهل الشام) ليوفوا ما عليهم من الاموال وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق وبهذه الايدي عمَّر الرومان ما عمَّروا من المعاهد والمصانع في الشام»

فمن يقرأ مثل هذا الكلام يخال لهُ انَّ سوريَّة اصبحت في اسوإ حال في زمن الدولة الرومانيَّة وفقدت كلَّ حقوقها لديها وهذا لعمري حكمٌ يخالف كلَّ ما كنَّا نعرفهُ عن احوال الشام وترقّيها في العهد الروماني حتى ان اوثق الكتبة يدعون طور الملك الروماني في الشام «عصر سوريَّة الذهبي» وعلى كل حال انهُ لَأمرٌ مقرَّر انَّ بلاد الشام في ايّام الرومان بلغت درجةً من الحضارة لم تعرفهُ قبلهم ولا بعدهم . كان عدد سكّانها ضعف عددهِ في يومنا . وكانت تخومها تتّسع يوماً بعد يوم بأمان ثغورها . كانت اراضيها مخصبةً وافرة الغلّات ومدنها من اكبر المدن وارقاها تمدُّناً كانطاكية وافامية وقيسريَّة وتدمر وغيرها مما اصبح بعضها اليوم قرىً حقيرة او قاعاً بلقعاً . وكان

١) راجع كتابنا La Syrie I, 105

يزين تلك المدن آثار نفيسة يحتار العقل لحسن جمالها و براعة هندستها . وكانت قرى عامرة قد تشيّدت في البوادي القحلة التي لا يسكنها اليوم سوى الاعراب الرُّحل وكان الامان باسطاً ظلّهُ على كل انحاء البلاد . ومما يشهد على فضلهم ازدهار الفنون الجميلة على مثال ارقى الشعوب منها الابنية الفخمة والمسارح واقواس الظفر التي لا تزال بقاياها تنطق برقي تلك الاعصار وبعلوّ همّة الرومان

كانت الدول السابقة قليلة الاهتمام بالابنية ذات المنافع العامّة فسدَّ الرومان هذا الخلل بفتح الاقنية لجرّ المياه الى المدن العامرة ومدُّوا الجسور فوق الانهار وفتحوا مرافئَ للسُّفن او وسَّعوا المرافئ القديمة . وكل هذه المآثر الجليلة استفادت منها الدول التي بعدهم كدول العرب والمماليك والاتراك ويا ليتها عرفت ان تحفظها وتصونها من الخراب الذي استولى عليها . وما قول صاحب خطط الشام بالضياع والقرى المدمَّرة التي تُرى آثارها في جهات سوريَّة الشرقيَّة خصوصاً أليس الرومان بناتها ؟ . ذكر التاريخ رجلًا من عرب حوران جلس على العرش القياصرة كما تبوَّأتهُ دولةٌ سوريَّة حمصيَّة الاصل فهل يمكن جنابهُ ان يذكر لنا رجلًا سوريَّ الاصل جلس على عرش سلاطين الاتراك او خليفةَ سوريًّا بين بني امية ؟ فيا ترى كيف جعلتَ سوريَّة في هذا الحد من الانحطاط في عهد الرومان وكل شيء ينطق برقيها وعظمتها من عدد سكّان وخصب زراعة ورواج صناعة ومدن عامرة وغنًى وبَذخ في المعاش وامان وترشُّح الى اسمى المناصب في الدولة !. فان كان هذا الانحطاط فكيف يكون الارتقاء ؟ وما هي شعائر الرفعة والحضارة ؟

هذا ثمَّ اننا في بعض مقالاتنا التي نشرناها في المشرق (٢٠ [١٩٢٢] : ٩٦٤-٩٧٢) كنّا حذَّرنا (ص ٩٧٠) السيّد كرد علي من اوهام الارقام في مؤرخي العرب وبيَّنا ما لهم في ذلك من العجائب والغرائب التي تنفي كلَّ الحقائق التاريخيَّة . وكأنَّ كلامنا لم يلقَ عند جنابهِ اذناً واعية . فانهُ عند ذكرهِ فتوح العرب الشام يزعم ان عدد الجيوش البوزنطيَّة كان بالغاً ٢٤٠،٠٠٠ حتى ٤٠٠،٠٠٠ (خطط الشام ص ١١٢ و ١١٦) . وهذا العدد من الجند لم تكد الدولة الرومانيَّة كلّها تبلغهُ في اوج عزّها على عهد اوغسطس قيصر . على انّنا نشكر حضرتهُ لضربهِ الصفح عن ملايين الكتب

التي زعم بعضهم سابقاً ان الصليبيين اتلفوها عند فتحهم لطرابلس (١ وانما اكتفي بنقل ما كتبهُ القلانسي في ذيل تاريخ دمشق (ص ١٢٥) وهو احد المعاصرين لفتح طرابلس — وكان حفظهُ الله أجاد لو اصلح ما كتبهُ سابقاً عن قتل الصليبيين لمئة الف رجل من اهل معرّة النعمان وبيّنا لهُ غلوّهُ الظاهر في هذا الاحصاء الباطل (المشرق ٢٠: ٩٧٢) ونقلنا لهُ كلام ابي العلاء المعرّي وهو اشهر من نار على علم عن حقارة وطنهِ (المشرق ٢١: ٥٥٧) لا بل زاد جنابهُ في الطين بلّة فذكر (ص ٢٨٠) دخول الفرنج الى المعرّة وقال

« فاستولوا عليها ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا منها ما يزيد على مئة الف انسان في اكثر الروايات (كذا) وسبَوا مثلهم.

فجعل مدينة المعرّة الصغيرة من أمّهات المدن كدمشق وانطاكية. وكنّا استعظمنا عدد قتلى المعرّة الذي ذكرهُ ابن ابي شحنة (ص ٢١٧) وهو هناك عشرون الفاً واليعقوبي يقول عنها في جغرافيّتهِ (ص ٣٢٤) انها كانت مدينة خراباً. فما قولنا الآن عن مئة الف قتيل يُضاف اليهم مائة الف اسير فيرى القرّاء كيف ان جناب السيّد يرمي الكلام على عواهنهِ وكيف يصدق قولنا في المعرّة (La Syrie I, 213) أنّها كانت بلدة حقيرة (une bicoque). ولا نريد بقولنا هذا ان نزكّي الصليبيين لانهم كانوا يجرون في ذلك الزمان على سُنَن الدول المحاربة. ولم يكن العرب من هذا القبيل ألطف من سواهم في معاملتهم للأسرى الذين لم يمكنهم ان يفدوا نفسهم بالمال او لم يرضوا بجحود دينهم. ومن اراد الوقوف على تلك المعاملات فليراجع اصدق واقدم تواريخ الاسلام اعني تاريخ ابي جرير الطبري (الجزء الثاني ص ٧٢٣ و٧٥٠ و٨٥٣ و١٢٠٧ و١٣٣٨ و١٥٩١ و١٩١٠ الخ الخ) يجد هناك من انواع الفظاظة ما يشفع باعمال الصليبيين

ولمّا كانت اميال جناب صاحب خطط الشام على هذا المنوال فلا عجب ان نراهُ مبالغاً في كثير من ارقامهِ. فانّهُ مثلاً (ص ٨٥) يجعل عدد المسلمين حاضراً ٣٥٠ مليوناً ولعلّهُ رأى في كلامهِ اعتدالاً بالنسبة الى الـ ٣٦٠ مليوناً المذكورة في مجلّة المنار

١) اطلب في المشرق ٢٠ [١٩٢٢]: ٤٠٧-٤١٢) مقالتنا التي عنوانها «الصليبيّون ومكتبة طرابلس

(٥: ٦٠٥-٦٠٧) وفي كلا القولين غلوّ ظاهر ينيف على مئة مليون فانّ مجلّة العالم الاسلامي (Moslem World, 1923, p. 283) استناداً الى ادقّ احصاء أجري مؤخراً تجعل عدد المسلمين نحو ٢٣٤ مليوناً . كذلك الناطقون بالضاد الذين جعل السيّد كرد علي هناك عددهم ٦٥ مليوناً لعلّهم لا يزيدون على نصف هذا العدد. فانّ العلّامة لويس ماسينيون (L. Massignon) المعروف بحبهِ العظيم للمسلمين يؤكد في مجلة العالم الاسلامي (Revue du Monde Musulman LVII p. 3) انّ العرب الاصليين يبلغون فقط ١٢ مليوناً وان المستعربين ٣٤ مليوناً . وعندنا انّ في احصائه هذا بعض المغالاة. وعلى كل حال لا يمكنّا ان نبدي حكماً فصلاً في هذه الاحصاءات الى ان تتمّ بموجب قوانين مدقّقة

وكم كنّا نودّ لو ذيّل جناب الكاتب خططهُ ببعض افادات تاريخيّة وجغرافيّة على احداث رواها على علّاتها وجاء فيها اسماء ملوك او قوّاد اجانب لم يُعرف لهم خبر الّا في اقاصيص لا يوثق بها كالروايات المنسوبة للواقدي وغيرهِ . فمن هو مثلاً ملك الروم قسطومس (ص ١٣٤) مكاتب معاوية ؟ ومن هو (ص ١٤٩-١٥٠) قلقط البطريق ؟ ومَن من الرواة الثقات روى اخبارهُ ؟ وكذلك بعض اخبار المَرَدة رواها عن كتبة محدثين لا نجد لها سنداً في مؤرّخ صادق. ومثلها بعض ما رواهُ عن الصليبيّين كان يحتاج الى مزيد انتقاد وانصاف

هذا ولا يمكنّا ان نتتبّع اقوال المؤلف صفحةً صفحة لاثبات او نفي كلامهِ وفي ما قلنا كفاية ليرى القرّاء انّ في كتاب الخطط ما يستوجب النظر وإعمال الفكر قبل الاستسلام الى مضامينهِ جزافاً . وهذا لا يمنعنا ان نقرّ بفضل كاتبهِ الذي تأنّق في انشائهِ وأحسن تقاسيم تأليفهِ وروى الاخبار بأسلوب واضح سهل المنال . ورجاؤنا ان يواصل الكاتب عملهُ بما عُرف من النشاط فيزيدهُ حسناً ليجد فيهِ العلماء ما يؤملون من المعلومات الصادقة المبنيّة على الحقيقة التي هي وحدها ضالّة الكتّاب المنشودة . ولنا في مقدّمة السيّد وتقدمة كتابهِ الى احد مشاهير ادباء العصر حضرة احمد تيمور باشا افضل ضمين لنجاح عمله

التليفونية اللاسلكية في سورية ولبنان

لحضرة الاب يوسف بلمبوا اليسوعي(١

المهندس القانوني المرخّص من مكتب باريس
والضابط سابقاً في المحطّات التلغرافيّة اللاسلكيّة المرتبطة بمكتب باريس

منذ اشهر عديدة كان محبو التليفونيّة اللاسلكية يلتمسون من جانب مفوَّضيّة الجمهوريّة الفرنسويّة العليا الرخصة لجلب أدوات التليفونية المذكورة ليتلهّوا بزاولتها ويختبروا صحّة ما كانت تنقلهُ لهم الجرائد والمجلّات ومنشورات البلاد المختلفة من عجيب فعلها

وها قد اصدرت الحكومة قرارين اجابةً لطلبهم . فالقرار الاوّل المرقوم بالعدد ٢٩٥٠ صدر في تشرين الثاني ١٩٢٤ يقضي بالغاء المنع السابق لجلب الادوات المذكورة كما كانت القوّات العسكريّة قرَّرتهُ في زمن الحرب . ثم تبعهُ في شهر كانون الاوّل من السنة قرار ثانٍ (عددهُ ٣٠١٠) يفصّل قوانين المحطّات التليفونيّة القابلة

وقد ذكرت الجرائد القرار الاول في وقتهِ أمّا القرار الثاني فانه ظهر في زمن كانت افكار الجمهور منصرفة الى امور شتّى فلم يُعيروهُ بالاً وضربوا عنهُ صفحاً وهو مع ذلك يستحقّ الاعتبار وهذا ما دفعنا الى كتابة هذا الفصل

ولبيان الامر يجب التمييز بين الادوات القابلة والادوات الباعثة

فبخصوص الادوات القابلة ينطبق القرار في وجوهه العموميّة على قوانين الشريعة الفرنسويّة ما خلا بعض الاختلافات العرَضيّة وفقاً للظروف المحلّيّة . فانَّ من اراد ان يجلب مثل هذه الادوات يكفيهِ ان يطلب الرخصة بذلك فيسجّل اسمهُ ويدفع ٢٥ قرشاً سوريّاً حقّ التسجيل . وهي كلفة زهيدة جدّاً

(١) هذه المقالة معرّبة عن الافرنسية كما ظهرت في نشرة التعليم Bulletin de l'Enseignement في عددها الثامن ايّار ١٩٢٥ (ص ٤٦٧-٤٧٣)

أمّا ما يخصّ الادوات الباعثة فانّ الفرق بين القرار المذكور والشرع الفرنسوي مختلف كلّ الاختلاف . فانّ من يرغب في فرنسة ان يجهز لنفسه ادوات تليفونيّة باعثة يُشترط عليه ان يطلب الرخصة بذلك ويدفع مئة فرنك وان لا يزيد المحرّك الكهرباني دون اذن خصوصي على قوّة مئة قياس (Watts) كما انّ طول الموجة يجب ان لا يتجاوز مئتي متر . وذلك بموجب قرار صدر في ١٨ حزيران سنة ١٩٢١

أمّا سوريّة ولبنان فانّ الادوات الباعثة (حتى لغاية ارسال برقيّات فرديّة) ممنوعة منعاً قاطعاً . وان وجدت الحكومة اداةً منها صادرتْهُ وعاقبت صاحبهُ بالحبس وبدفع جزاء نقدي

ولانّ السوريين واللبنانيين قد نالوا السماح بجلب ادوات قابلة يحسن بنا ان نفسّر لهم ما يرجونهُ من فوائد تلك الادوات وما هي الظروف الزمنيّة والمكانيّة التي تمكّنهم من الانتفاع بها . ومن ثمّ نقسم درسنا قسمين نخصّ القسم الاوّل بالمحطّات القابلة والقسم الثاني بالموانع التي تمنع المحطات من قبول الاصوات والنغمات

المحطات القابلة

المحطّات القابلة لا يمكنها ان تتناول النغمات الموسيقيّة الّا من اميركة ومن اوربّة لانّهُ ليس حاضراً في كل انحاء الشرق محطّات تبعث تموّجاتها الى انحاء الجوّ

ثمّ انّ المحطات الاميركية لا تفيد الشرقيين افادةً تُذكر مع كثرتها وحسن اجهزتها والسبب هو اختلاف الساعات بينها وبين الشرق فانّ الانغام الموسيقيّة الصادرة في اميركة تبلغ الى آذان الشرقيين في الساعة الثانية بعد نصف الليل وهي ساعةٌ قلّما يحبّ الناس ان يصغوا اليها سمعاً بتضحيتهم هناء منامهم . فتبقى الانغام الاوربية واخصّها الفرنسويّة والانكليزيّة والبلجكية والايطالية والالمانية الى غيرها ممّا ليس تحتهُ امر كبير كالانغام الدنيمركيّة والهولنديّة والروسيّة لان السامع يجبُ اذا سمع الاصوات والانغام ان يفهم ايضاً معاني اقوالها في لغةٍ يدركها

فان اقتصرنا على الانغام الاولى يجب على صاحب الادوات القابلة ان يعرف انّ الاختلاف بين ساعات انكلترة وفرنسة وبين ساعات سوريّة يبلغ ساعتين . فلو أُقيمت مثلًا حفلة موسيقيّة الساعة الثامنة مساء في انكلترة او فرنسة على حسب

معدل زمن غرينويتش فان نغماتها لا تُسمع في بيروت الَّا في الساعة العاشرة . واطرب هذه النغمات في فرنسة نغمةُ باريس الباعثة التي تبتدئ الساعة التاسعة فيسمعها اهل سورية الساعة الحادية عشرة مساء

٢ العوائق التي تمنع المحطَّات من قبول النغمات

هذه المسئلة تستدعي بحثين ليقف القارئ على صحتها . وقبل بَسْطها اني اقدّم عليها هذه المشابهة : لو سألني احد أتسمع دقّات هذه الساعة ؟ فانها خفيفة جدًّا . انَّ جوابي على هذه السؤال يختلف على حسب الظروف فان كنتُ في غرفةٍ معتزلة تستر الاقمشة جدرانها بحيث لا يبلغ اليها صوت من الخارج اجبتُ : نعم اني اسمع هذه الدقّات على الرغم من ضعفها . ولكن لو عرض عليَّ السائل ذاك السؤال في احد شوارع بيروت كشارع الحرّية حيث تُسمَع جلبة الناس وحركات الاوتوموبيلات والترامواي أجبتُ : كلَّا لا اسمع تلك الدقّات وآذاني تصمُّ من كثرة الاصوات المحيطة بي . وعلى هذا نقول

(اوَّلًا) انَّ استماع الانغام الاوربيّة المحمولة بالتلغرافيَّة اللاسلكيّة يمكن استماعها ان كان القابل مفرزًا لا تشوّشهُ الاصوات الغريبة فان الاختبارات التي اجراها في المحطات العسكرية اللاسلكيَّة اللازم ديڤو (L^{nt} Devaux) في مرصد كساره ثمّ المسيو ديلاني (M. Delagne) في المحطة اللاسلكيَّة الشرقيَّة (Radio-Orient) أدَّت الى النتيجة الآتية : في بعض الليالي الهادئة التي تُسمع فيها الاصوات الفضوليَّة امكننا استماع الانغام الاوربية بنوعٍ كافٍ وبتجهيزات قليلة اعني بواسطة كاشف ذي انعكاس مع مصباح معظِّم الاصوات قليل التواتُر . ولعلَّ الذين يسمعون لاوَّل المرَّة هذه الالفاظ الاصطلاحيَّة لا يدركون معناها لاوَّل وهلة لكنهم سيألفونها قريبًا آن شاءوا التمتُّع بادوات التليفونيَّة اللاسلكيَّة

وان سأل السائل وهل يتمُّ شرط هذا الهدوّ الليلي عادةً ؟ اجبنا : انَّهُ لسوء الحظ لا يتمُّ بسهولة وذلك لان هذه الاصوات الفضوليَّة تكاد تكون متواصلةً لا تبطل الَّا قليلًا نحو مرَّة واحدة بالشهر نسبةً الى الانغام البعيدة المسافة . وليست هذه الاصوات ناتجة من اصوات الشوارع التي يمكن إبطالها بالعزلة والستور وانَّما هي

طلقات كهربانية تتفجّر في الفضاء او في الارض. ثمّ ان هذه الطلقات تبعث في الجوّ تموّجات هِرتسيّة يبلغ صوتها الى ادوات القابل كتموّجات المحطة الباعثة نفسها فيسمع المصغي اليها صفيرًا و تقلات وتفرقعات يسعى الآن العلماء الى نفيها فاصابوا بعض النجاح في التلغرافيّة اللاسلكيّة دون التليفونيّة التي يبقى اصحابها معرّضين لهذا الخلل

(ثانيًا) وان سأل السائل أيوجد املٌ وطيد في قبول الانغام الموسيقيّة الاوربية بطريقة شائقة ومتواصلة ؟ اجبنا هذا ممكن على شرط اتخاذ الاحتياطات لبلوغ الغاية المقصودة ولولاها لأصبحت تلك الاصوات الرخمة متقطعةً لا قيمة لها في جانب الفنّ. امّا الاحتياطات الواجب استعمالها فهي :

١ً ان تُستقبَل الاصوات على اطار فذلك افضل من السارية. نعم انّ للسارية قوّةً اعظم في التقاط الاصوات إلّا انها معرّضة ايضاً اكثر منها لآفة الاصوات الفضوليّة وعلى خلاف ذلك تتأثر الاصوات الفضوليّة اكثر من الاطار بضعف التموّجات الواردة. وبالاجمال يجب القول انّ التشويش الحاصل في القابل بالاصوات الفضوليّة يزيد على قدر ارتفاع الجهاز لاصطياد التموّجات. فليُجعل اذن الاطار مرتفعاً قليلًا فوق الادوات القابلة. وكذلك فليتنبه صاحب القابل الى اللواحق والى الادوات الخازنة للكهرباء. فانها بطولها تصبح مرارًا عديدة ناقلةً للاصوات الفضولية. فلتكن اذن هذه اللواحق اقصر ما يمكن

٢ً فلتُتّخذ أجهزة بالغة في تفخيم الاصوات وذلك لانّ المسافة بين الباعث والقابل تزيد مرارًا على ٤٠٠٠ كيلومتر ولانّ القابل كما سبق هو إطار والاطار يتلقّى الاصوات بضعف فالآلة المضخّمة للاصوات الموسيقيّة ربّما غلبت تلك الاصوات الفضوليّة ان كانت لا تُلاشيها

ويجب ان تكون الآلات المعظِّمة للاصوات بالغة التواتر التي عادةً لا تزيد قوّة الاصوات الفضوليّة بخلاف الادوات الضعيفة التواتر التي تنميها. فان السامع قليلًا ما يتمكن من إدراج اكثر من طبقة واحدة ذات التواتر الضعيف في اطاره. بخلاف الادوات البالغة التواتر فانه يجوز توفير طبقاتها المفخّمة للاصوات وهي عادةً بعدد المصابيح المثلثة المجاري الكهربانية التي ترافق المحطة. وعلى هذا اذا سألنا احد كم

يلزم من المصابيح لتُدرك اصوات الباعث نجيبهُ : انهُ لا يمكن تعيين المصابيح المذكورة لان اجهزتها تختلف ولكل جهاز مصابيح خاصّة (وكلامنا هنا عن الادوات الحسنة التركيب الوافية لشروط البناء) . مثال ذالك جهاز مولّد للكهرباء صغير الحجم يُدعى بالهيترودين المضاعف (double hétérodyne ou superhétérodyne فانَّ مصابيحهُ متعدّدة وليس تعدُّدُها برهاناً على وفرة إحساسها . لان الغاية من توفير مصابيحها هي لتخصيصها . وقد سمعتُ غير مرّة في ان اسمع انغام باريس الموسيقية المشعّة بجهاز الهيترودين المضاعف ذي تسعة مصابيح فلم انجح وقد سمعتُها جيداً بجهاز آخر ذي اربعة مصابيح مع انَّ الاوّل ذو قوّة اشدّ

فمن سأل اذن كم يقتضي مصباح لتُسمَع الاصوات في سوريّة على الاطار ؟ نجيبهُ ان هذا يختلف على اختلاف تركيب الآلات وقد يطول بنا الكلام لو استقرينا كل صنوف التجهيزات . والاوفق ان يطلب المتشاغلون بهذه الآلات رأي الاختصاصيين عند الحاجة

٣ ومن المستحسن اتخاذ ادوات من الشكل المعروف بالتخصيصي او الانتخابي (sélectif) التي لا تُسمِعُ الّا اصوات محطة باعثة يُدوِّزن معها القابل . وذلك لان تموُّجات المحطات المختلفة ليست من جنس واحد بل تتنوَّع كانواع الالوان . والتشبيه بها نِعم التشبيه . فليُدوزَن اذن القابل بلوالبهِ على تموُّج خاصّ . وان كان من شكل الادوات الاختصاصية يتفرَّد لقبول التموُّج الذي دُوزِنَ لهُ وليس لغيره وان لم تختلف التموُّجات عن بعضها إلّا يسيراً . وهذا من الامور الواجبة لان السامع يريد ان يسمع اصواتاً بالغة اليهِ من مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر وبما انَّ المحطات الباعثة كثيرة العدد في هذه الدائرة تتعدَّد ايضاً الاصوات في اذن السامع وتختلط حتى تصبح كريهة السمع ما لم يخصّص آلته بواحد منها

٤ وممّا ينبغي اللحاظ اليهِ حادثٌ غريب يعرف بغشيان التموجات -éva) nouissement des ondes او تلاشيها (fading) ممّا يُشعَر بهِ في سوريّة على التموُّجات البالغة ٤٠٠ متر . والحادث المذكور يجري هكذا : يبلغ الى السامع اصوات محدودة مثلًا من لندرة على تموُّجات ٣٦٥ متراً فيُحسن او لاسمع تلك الاصوات ثم بعد قليل تضعف كأن قابلهُ تشوَّش ثم يزيد ضعفها الى ان تتلاشى تماماً . فيظنّ السامع

انهُ لم يُحسن دوزنة قابلهِ ويريد ان يغيّر حركات اللوالب فيبطل الدوزان . ففي هــذه الظروف الواجب عليهِ ان يلوذ بالصبر وما تمرُّ عليهِ بعض الثواني إلّا فتعود الاصوات بل تزيد قوّةً على ما كانت الى ان تضعف ثانية في مدد مختلفة . فهذا الحادث لم يتفق العلماء حتى اليوم في بيان سببهِ والاوفق ان يختار صاحب الآلة اداةً بطول تموُّجات تعاكس هذه التقلُّبات واحسنها التي تُدوزَن مع المحطة الباريسية الباعثــة (Radio-Paris) او شلمسفورد (Chelmsford) . وممّا يثبت بالاختبــار في الأيام التي تقوى الاصوات الفضولية المزعجة انَّ التموُّجات القليلة الطول وحدها تبلغ الى القابل . ومن هذه الملحوظات يتّضح لمحبي الادوات التليفونيَّة انهُ يبقى في الفنّ معمَّيات قليلة الوضوح

وهذه مشورة انصح بها محبي التليفونيَّة اللاسلكيَّة ان يأخذوا حذرهم من باعة الادوات بل اكرر عليهم النصيحة ثانياً وثالثاً . والسبب من ذلك انَّ هذا الفنّ أُصيب بنوعٍ من الأزَمات فازدادت الطلبات على اصحاب المعامــل واذ قصروا عن اجابة الطلب طمحوا بالربح القريب وتهافتوا على اصطناع الادوات اللاسلكيــة فتوفَّرت البضاعة في كل صقع الّا انّها كانت مختلّة قليلة النفع لم يربح مجهّزوها إلّا لعنــات الذين ابتاعوها فدعُوا باصوص التليفونيَّة المُشمَّة . ولا نظنّ انَّ اهل سوريَّة ولبنــان افلتوا من اشراك هؤلاء القرصان

وممّا زاد في خيبة طــالبي الادوات التليفونيَّة انَّ ما شاع منهــا كان من جنس الادوات المناسبة لبلاد مستحضريها لا تصلح لبلاد بعيدة عن المحطات الباعثة الى مسافة ٤٠٠٠ كيلومتر . وكم خُدع المبتاعون بما يرونهُ من الاعلانات الطنطنة المضاة باسماء بعض الافراد الذين كتبوها مجاملةً للباعة او تحقّقوا صحّتها لغاية مخصوصة لا توافق سواها

ويسرّنا ان تكون مبادئ التليفونيَّة المشمَّة مصحوبة بالخيبة والنفور في هــذه البلاد . ومن ثمَّ نختم مقالتنا بكلمات ثلاث تكون خلاصــة ما شرحنا قبــلًا : على طالبي التليفونيَّة ان يحذروا وان يفطنوا وان يصبروا . فلا يُسرع الزبائن الى مشترى الادوات إلّا بعد النظر والاختبار ريثما تكون بلغت التحسين الراهن بمراقبة العلماء الاثبات

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

ويظهر ان الانبا بيشاى أسس اديارًا شتى. قال المقريزي (٢: ٥٠٧)

« الدير الاحمر يعرف بدير ابي بشاي وهو دير لطيف مبني بالطوب الاحمر. وابو بشاي هذا من الرهبان المعاصرين لشنوده (شنودين) وهو تلميذه وصار من تحت يده ثلاثة آلاف راهب. ولهُ دير آخر في برية شيهات »

وقال في محلّ اخر (٢: ٤٩١) :

« أقيم على اليعاقبة (الاقباط) بنيامين بطركًا . . . فعمَّر الدير الذي يقال له دير ابو بشاي ودير سيدة ابو بشاي وهما في وادي هيب »

على ان هذا الدير الثاني المشيّد في برية شيهات كان في حوزة السريان على ما ايّد المقريزي عينه (ص ٥٠٩) قال

« دير بازاء دير بو بشاي . . . ملكته رهبان السريان من نحو ثلاثمائة سنة وهو بيدهم الآن »

فيتّضح ممّا ذكرنا ان السريان كان لهم دير في الصعيد على اسم الانبا بيشاي وقد ورد ذكرهُ في جملة من مخطوطات مكتبة لندن كمخطوط (عدد ٢٢٠) المنسوخ سنة ٨٢٤ ومخطوط عدد ١٤٧و٢٢٢ . وقد صرّح مخطوط لندن (عدد ٩٦١ ص ١١٣٩) المؤرَّخ في سنة ١١٩٩م باسم هذا الدير واختصاصه بالسريان. وعلّق الناسخ على كتاب معانيث سويرا سنة ١٢٢٢ ما شرحه (عدد٤٣٨) : «ونُسخ الكتاب في برية الانبا مقاريس بدير والدة الله القريب من دير الانبا بيشاي» وورد ذكرهُ في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ سنة ١٢٩٢ ما تعريبه : « دير والدة الله في برية الصعيد بناحية دير الانبا بيشاي» . ولعمري لو لم يكن هذا الدير للسريان لما تصدّوا لذكرهِ وعرّفوا بكون موقعه قريباً من ديرهم الشهير المؤسس على اسم والدة الله

وقال المؤرخ رمزي تادرس القبطي في الجزء الرابع من كتابه «الاقباط في القرن العشرين» ما ملخصه

«ثالثًا : دير انبا بيشواي . يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنس كاما المشهور بالسريان يحتوي على كنيسة كبيرة متسعة وعلى يمينها كنيسة الانبا اسخيرون وغربها كنيسة مار جرجس وعلى يسارها كنيسة الانبا بنيامين البطريرك الاسكندري . ويشتمل قصر هذا الدير على ثلاث طبقات بها كنيسة باسم العذراء وكنيسة باسم ميخائيل الملاك . . . واوقاف هذا الدير تقدَّر بمبلغ ٦٧،٤٧٠ جنيهًا . . . مشتركة بالنصف مع دير السيدة وابي يحنس كاما»

فبقوله «انه يبعد عشر دقائق عن دير ابي يحنّس كاما المشهور بالسريان وان اوقافه مشتركة مع اوقاف دير السيدة» يؤكد ان هذا الدير كان للسريان كما صرّحنا اعلاه

ثالث عشر : دير الانبا يوحنا الصغير . ورد ذكره في تاريخ مخطوط لندن (عدد ١٤٧) المحتوي على رسائل مار بولس بالسريانيّة هكذا: «انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤ في دير الانبا يوحنا الصغير ابي المتوحدين في برية الصعيد بارض مصر . . . كتبه بهنام الراهب السجستانيّ . . . في عهد ديونوسيوس بطريرك انطاكية († ١٢٦١) ومار اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة والربّان يشوع القمّص رئيس هذا الدير الذي يخصّ السريان»

وقد جاء ذكر هذا الدير عينه في مخطوط مكتبة اوكسفرد ايضًا (عدد ٣٢ ص ٩٥) المنسوخ سنة ١٢٤٦م

رابع عشر : دير الاقليم . ذُكر في مخطوط لندن السرياني عدد (٨٣٢ص ٨٦٥) بما تعريبهُ : «انتهى تأليف القديس يوحنا الناسك المعروف بالشيخ سنة ١١٧٢م في بريّة مصر داخل دير الاقليم بوادي بهري

خامس عشر : دير مريم العذراء والدة الله . هو غير دير والدة الله في الصعيد الذي سيأتي وصفه على حدة . وكان موقع هذا الدير في الجزيرة باقليم الاسكندريّة على ما صرّح تاريخ مخطوط لندن (عدد ٩٥٣ ص ٩١٣) وهذا تعريبهُ : «انتهى نسخ الكتاب سنة ١٠٨١م في دير القديسة والدة الله بالجزيرة التي باقليم الاسكندريّة بمساعي مار موهوب ومار فهد وابنيها يوحنا ومنصور» . وقد ورد ما يحاكي هذا التعريف في مخطوط لندن (عدد ٢٢٥) المنسوخ سنة ١٠٨٩م

سادس عشر: دير مار يونان. وصفهُ مخطوط لندن السرياني (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المشتمل على "مجموعة الرهبان المصريّين" على هذا النسق "وقف هذا الكتاب اسحق ودانيال وشليمون الرهبان في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس ... في عهد قزما (الثاني) بطريرك الاسكندرية ويوحنا [الخامس] بطريرك انطاكية ✝٨٧٤" وقد ورد ذكره على هذا المنوال ايضاً في مخطوط لندن (عدد ١٠١٤ ص ١١٩٥) بقوله: "وقف هذا الكتاب مع تسعة كتب اخرى اسحق ودانيال وشليمون المترهبون في دير السريان المعروف بدير مار يونان في ماريس مصر سنة ٨٤٩ م

سابع عشر: دير الانبا صموئيل. ويُعرف بدير القلمون وهو على مقربة من دير ابي مقار. كان من اجلّ الاديار وأوفرها عمراناً واكثرها ارزاقاً واملاكاً. ذكرهُ ناسخ النوافير السريانيّة على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٧٢ ص ١١) هكذا: "بسم الله رجانا. هذا الكتاب وقف مؤبد على دير القديس انبا صموئيل المعروف بالقلمون. كتب هذه الوقفية يوحنا الراهب السرياني بن ماري اوجين" وقد وصفه المقريزي (٢: ٥٠٥) بقوله:

«هذا الدير في برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها الى الفيوم ... بني على اسم صموئيل الراهب (١ وكان في زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد ... وفيه قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما اشراق. وفيه ايضاً عين ماء تجري وفي خارجه عين اخرى وبهذا الوادي عدّة معابد قديمة ثم وادٍ يقال له الأمْلاح فيه عين ماء تجري ونخيل مثمرة تأخذ العرب ثمرها. وخارج هذا الدير ملّاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعمّ تلك الجهات»

ثامن عشر: دير مار جرجس. ابتناه السريان الشرقيون اعني النساطرة على اسم مار جرجس وقد ذكره الشيخ ابو صلح الارمني (ص ٥٤) قال:

«دير النسطور على اسم مار جرجس وهو من العمارة الحسنة المحكمة ومن المتنزهات المشهورة الموصوفة. وكان الشيخ ابو الفضائل النسطوري ... اهتمّ بعمارة ما تشعّث منه وجدّده احسن عمارة بالحجر المنحوت. وكان فيه عدّة كبيرة من رهبان النسطور ... ولهذا الدير ارض للزراعة ملك للدير ... وصار هذا الدير الى القبط بمصر في بطريركية الانبا مرقس بن زرعة وهو الثالث والسبعون في عدد البطاركة وقدّس فيه ... سنة ٨٩٩ للشهداء. وسنة ٥٧٦ هجريّة ١١٨٠ م»

(١) لعله سموئيل او شموئيل موسس دير قرتمين بطور عبدين في اواخر القرن الرابع على ما ذكر ابن العبري في تاريخه الكنسي. اطلب المشرق (٦ [١٩١٣]: ٨٢٨)

هذه ثمانية عشر ديراً ابتناها السريان في وادي النيل وثوى بها رهبانهم احقاباً كثيرة ولعلّ الباحث يقف على غيرها ايضاً متى أتعب خاطره وكلّف نفسه مشقّة التفتيش عنها في الاسفار القديمة والمخطوطات العتيقة . وفي ما اوردناه مؤونة كافية للاقتناع بما كان للسريان من الكلمة والاهمية ورفعة الشأن في وادي النيل

١١ دير السريان الكبير في صعيد مصر

المشهور بدير والدة الله

كان هذا الدير متحفة الاديار السريانيّة في القطر المصري وكان غاصاً بالرهبان الاتقياء الاذكياء الذين أفادوا المؤمنين بسيرتهم القشفة وأغنوا ارباب العلوم بمؤلفاتهم النفيسة ومخطوطاتهم النادرة . ويغلب على الظنّ انهُ أُسس قبل السنة ٦٠٣ على ما يُستفاد من مخطوط لندن (عد ٦٧٢) المنسوخ في هذا الدير العام سنة ٦٠٣م وهو يتضمّن ميامر يعقوب السروجي العلّامة الشهير . ويتّضح من مخطوط مكتبة باريس (عدد ٧٢ ص ١١) المنسوخ سنة ٧٢٠ م ان رهباناً سريانيين وافوا من تكريت واشتروه — او ان شئت فقل فكّوه — من يد القبط بعد ما اسنَوا لهم اثني عشر الف ذهب . وكان يثويه يوم عزّهِ مئات من الرهبان . وقد ذُكر في مخطوط لندن (عدد ٩٥٠ ص ١١١) المنطوي على اخبار القديسين ان سبعين راهباً سريانياً كانوا منقطعين فيه الى عبادة الله . وكان يزور هؤلاء الرهبان مطارنة اورشليم السريان حيناً بعد حين ويتفقّدون احوالهم . وظلّ هذا الدير الشهير على رقيه وبسطته حتى سنة ١٠٩١ فصمّم اغناطيوس بطرس الرابع بطريرك السريان ان يتمهّد شؤونه ولكن المنيّة عاجلته وصرفته عن انجاز رغبته فأوفد الى رهبانه طائفة من المال اسعافاً لهم

والفضل في تعزيز هذا الدير عائد الى الرهبان السريان التكريتيين والى تجارهم الذين كانوا يتوافدون اليه منذ القرن السابع حاملين اليه المخطوطات السريانية النفيسة . وكان يقصده ايضاً عدد كثير من الرهبان من ما بين النهرين وفونيقي وفلسطين وسورية وغيرها فينزوون فيه او في ما جاوره من الاديار معتكفين على العبادة والقنوت . ومن جملة ذلك ان اثني عشر رجلا وافوا الى هذا الدير من سورية في نيسان سنة ١٢٠٦ كما ورد في مخطوط لندن (عدد ٢٣)

وكان هؤلاء الرهبان يتشاغلون اثناء الفراغ من الفروض الرهبانية بالتاليف والنسخ يبيّضون ويسوّدون وينقّحون. وكانوا يدرسون ايضاً اللغة القبطية وينقلونها وقد نقلوا عنها شيئاً الى السريانيّة. وجاء في مخطوط لندن (عدد ٩٦٣) ما تعريبهُ عن السريانيّة: «كتبنا ما وجدنا في كتب كنيسة مار بطرس في عكّة وارسلناه مع الربّان عزيز... وطلبنا سيرة مار فاخوم سواء كانت بالعربية او بالقبطية لننقلها نحن الى السريانية فلم نعثر عليها». هذا ما كتبهُ يوحنا السجستاني الراهب السرياني

وقد ادّى رؤساء هذا الدير ورهبانه خدماً جُلّى للدين والعلم معاً. وها اننا نسرد ههنا اسماء بعض رؤسائه تخليداً لذكرهم مقتطفين شيئاً من اخبارهم عن مخطوطات مكتبتهم الشهيرة التي افردنا لها فصلاً خصوصيًّا:

١ً اوّل من تولى رئاسة دير والدة الله على ما تيسّر لنا الوصول اليه هو ماروثا ابن حبيب الرئيس الكبير سنة ٧٢٠ م وقد وصفه مخطوط باريس (عدد ٢٧ ص ١١) على هذه الصورة: «صلّوا على التكريتيّين الذين اشتروا هذا الدير من القبط باثني عشر الف دينار ذهب بهمّة ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير». على اننا قلنا آنفاً ان هذا الدير كان قد تأسس قبل السنة ٦٠٣م فقول الناسخ «اشتروا» يدلّ على ان القبط استحلّوه فسعى السريان بجمع مبلغ من المال واسترجعوه

٢ً المطران سويرا قرياقس. عُهدت اليه رئاسة هذا الدير سنة ٧٧٣م على ما صرّح به مخطوط لندن (عدد ١٠٣٣ ص ١٢٠٠)

٣ً الانبا يوسف. أُنيطت به الرئاسة على هذا الدير سنة ٧٩٨ م كما ورد في مخطوطات لندن (عدد ٣٠٩)

٤ً ابن عيدي. رئيس دير والدة الله. كذا ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٨١ ص ٧٦٦) المنسوخ سنة ٨٦٦ م في عهد يوحنا بطريرك انطاكية ٨٤٧ († ٨٧٤) وقزما بطريرك الاسكندرية

٥ً القس يوحنا بن مقاري. عُقدت لهُ الرئاسة على هذا الدير نحو السنة ٨٩٤ م طبقاً لما ورد في مخطوط لندن (عدد ٥٦٨ ص ٤٥٠)

٦ً القس موسى النصيبيني. هو الذي سعى بفكّ هذا الدير من الرهن وارتحل الى بلاد السريان وجمع المخطوطات السريانيّة ونقلها اليه وقد عُقدت لهُ الرئاسة على

هذا الدير نحو السنة ٩٢٠ وسنفيض في وصفه في الفصل التالي في كلامنا عن مكتبة هذا الدير

٧ الاب صليبا · أفضت اليه الرئاسة على هذا الدير في عهد البطريرك ابرهيم الاول (٩٦٢—٩٦٣) طبقاً لما ورد في مخطوطي لندن (عدد ٣٤٧ وعدد ٣٥٢)

٨ الاب داود · تولى رئاسة الدير سنة ١٠٠٧م على ما نصّ تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣٢١)

٩ الاب يوحنا · هو شقيق الاب داود سالفه · خلفه في رئاسة الدير بعد السنة ١٠٠٧ كما ذكر مخطوط لندن (عدد ٣٢٢)

١٠ الاب باسيل · أنيطت به رئاسة الدير سنة ١٢٢٢ م في عهد القمص الربّان يوحنا · وكان هذا القمص رئيساً على دير آخر للسريان لم يذكر الناسخ اسمه (مخطوط لندن عدد ١١٩ ا) · ولم نعثر على اسماء رؤساء هذا الدير في الفترة التي تخللت ما بين السنة ١٠٠٧—١٢٢٢

١١ الربّان يشوع القمص · تولى امور الدير منذ السنة ١٢٣٧م على ما صرح به مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٧٧) حتى السنة ١٢٥٤ على ما ذكر مخطوط لندن ايضاً (عدد ١٤٧ ص ٩٤) وكان اصله من زرجل قرية قريبة من حصن كيفا على دجلة

١٢ عبد المسيح القمص · ذكرهُ مخطوط لندن (عدد ٥١٠) هكذا : « عبد المسيح رئيس دير سيدتنا بالبرية المقدسة المعروف بدير السريان سنة ١٤٨٣م في عهد الانبا متاوس بطريرك الاسكندرية

١٣ المطران ساويرس قرياقس · ذكره مخطوط لندن (عدد ٣٩٩) هكذا « انتهى هذا البيتكاز (ܦܢܩܝܬܐ) وقد نسخهُ رئيس الدير ابونا القديس . . . المطران مار ساويرس قرياقس من جبل لبنان من مقاطعة طرابلس . . . جرى ذلك في دير والدة الله ببرّية الصعيد الذي يخصّنا نحن السريان المحسودين وذلك سنة ١٤٩٢ م وفي هذه السنة حدث وباء هائل وطاعون قتّال في ارض مصر فتك بعدد لا يُحصى من البشر

١٤ المطران ساويرس · تولى رئاسة الدير في ١٥ اذار ١٥١٦ طبقاً لما جاء في مخطوط لندن (عدد ٦٥) الذي علق عليه غريغوريوس مطران اورشليم الفائدة المشار اليها

١٥ً الاب لعازر . انتُخب رئيساً للدير بعد المطران ساويرس وقد جاء ذكره في مخطوط لندن (عدد ١٠١٣)

١٦ً و ١٧ً قسطنطين الاول وقسطنطين الثاني . ذُكر اسمها في مخطوط لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) على هذه الصورة : « نسخ الربّان متى الطور عبديني كتاب اسحق النينوي . . . في عهد قسطنطين الاوّل لا الثاني . لان هذا الدير تولى رئاسته رئيسان باسم قسطنطين . وقسطنطين الاول بعد ما شبع من الرئاسة اعني من فِتَن الرهبان وتحزُّباتهم . . . انهزم الى دير الاب انطونيوس مستصحباً هذا كتاب ماراسحق ليقرأ فيه ثم يردّه الى الدير . غير ان المنية بغتتهُ في ذلك الدير فظلَّ فيه هذا الكتاب مع غيره من الكتب »

هذا ما تيسّر لنا الوقوف عليه من اسماء الرؤساء الذين تولّوا امور هذا الدير الشهير الذي لبث في حوزة السريان حتى القرن الغابر فاستحلّه القبط وملكوه ولعبوا بما بقي من آثاره السريانية غير ان الزائر يرى فوق مذبح كنيسته حجرًا نُقش عليه بحروف سطرنجيلية ما شرحه : « شُيّد هذا البناء في عهد القس موسى النصيبيني رئيس الدير » اعني في القرن العاشر . وقد شاهد هذه الكتابة وغيرها من الكتابات السريانيّة المنقوشة في جدران الدير حتى اليوم كثيرٌ من الزوّار فافادونا عنها

على ان المؤرّخ رمزي تادرس القبطي احجم عن ذكر ذلك في وصفه هذا الدير المجيد كما سكت ايضاً عن وصف آثاره ومكتبته الشهيرة . واليك ما كتبه عنه في مؤلَّفه « الاقباط في القرن العشرين » قال :

« جاء المستر تاتام السائح الانكليزي الى القطر المصري سنة ١٨٣٧ (والصحيح سنة ١٨٤٢) فاخذ ثلاثمائة قطعة من المخطوط اليدويّة المكتوبة على رقّ غزال خلاف عدد عظيم من الكتب المهمّة التي لا تقدَّر قيمتها والتي كانت تُعدّ الاثر الباقي للمكتبة القبطية(١) (والصحيح السريانية) في دير السريان . وقد نُقلت هذه التحف الى انكلترا . واول ما يراه الزائر دير

---

١) ان المؤرخ رمزي تادرس لم يورد خبر هذا الدير ومكتبته بدقّة وامانة اسوةً بالمؤرخين الثقة ذلك رغبة منهُ ان يخفي عن القرّاء ما كان للسريان من الاهمية والاعتبار سواء كان في القاهرة ام في براريها وقد اشرنا في المتن الى ما ارتكبه من الشطط والغلط امّا جهلًا او تجاهلاً منه

السيدة بالبراموس ثم دير السيدة وابو يحنّس كاما المشهور بالسريان (١ فدير ابو مقار فدير الانبا بيشاي

« اما دير السيدة وابو يحنّس كاما (وهو دير السريان المعروف بدير والدة الله على ما وصفناه آنفاً) فيشتمل اولاً: على كنيسة للعذراء بالمغارة وبها ايقونة قديمة جداً تمثالها وعليها رسم خروف من الاسفل. وثانياً: على مغطس في وسطهِ رسمُ صليب (هذا يوافق لتقاليد السريان وعوائدهم الطقسيّة التي اتخذوها عن السلف وهي ان يضعوا في جرن العماد صليباً كما شهد لذلك مار افرام في مداريشه) قائماً على قاعدة مدرجة وعلى قمته المقدسة رسم العين وعلى جانبيهِ عمودان. ثالثاً: على كنيسة الاربعين شهيداً بسبسطية (الذين لهم مقام معتبر لدى السريان). رابعاً: على مقبرة الانبا مرقس مطران الحبشة. خامساً: على كنيسة العذراء ايضاً بها ايقونات كثيرة من العاج مطعّمة في خشب الصنوبر وبينها ايقونة مار مرقس على حجاب الهيكل مع ايقونات ديوسقورس وسويرس وابي يحنس (الذين لهم الرتبة الاولى عند السريان). وفي هذه الكنيسة صور الاثني عشر رسولاً وعلى باب الهيكل منقوش بالتطعيم صور العذراء والمسيح ومرقس وديوسقورس وسويرس الخ. وبالخورس الداخلي مغطس اللقان ܚܨܠܐ. وبه اعمدة من الرخام صغيرة الحجم والطول وُضعت منذ ثلاثمائة عام (اعني منذ كان هذا الدير في ملك السريان وحوزتهم وهم الذين وضعوها). وفي غربهِ غرفة المائدة وطولها خمسة عشر متراً في عرض متر. وفي جنوبه محلّ كان مختصاً لعبادة الانبا بيشاي (كما صرّح بهِ ايضاً نساخ الكتب السريانية) وفي الدير كنيسة صغيرة باسم ابي يحنّس شرقي الشجرة المنسوبة الى مار افرام السرياني (وهو دليل آخر على ان هذا الدير كان للسريان) وقصر فخم ملاحق للبوابة العمومية ارتفاعه اثنا عشر متراً وبه خمس طبقات في اسفلها طاحون للدقيق. وفي الطبقة الرابعة كنيسة باسم الملاك ميخائيل ومكتبة الدير. وباب القصر. اما سور الدير فعلوّه اثنا عشر متراً وعرضهُ نحو ثلاثة امتار. امّا اوقاف الدير فقيمتها ١٨٠٠ جنيهاً وايجارها ٤٥٥ جنيهاً مع اشتراكه بالنصف في اوقاف دير انبا بيشواي (لان هذا الدير كان ايضاً للسريان كما اوضحنا)

وذكر الاب ميشال جوليان اليسوعي في رحلته الى صعيد مصر سنة ١٨٨٢

---

١) تكفي هذه التسمية لتأييد حقوق السريان على هذا الدير

(ص ٣٠ عد ١٠) من النصّ الافرنسي ما تعريبهُ بتلخيص

« لما وصلنا الى دير السريان استقبلنا رئيسهُ القمص ميخائيل وهو شيخ عجوز واحتفى بنا ناثبهُ فأرانا في ساحة الدير البرّانية الشجرة العجيبة المشهورة بشجرة مار افرام السرياني وهي تحاكي شجرة تمر هندي لها اغصان فنواء تظال البناء باسره وتتخلل اوراقها الخضراء عناقيد زهور جميلة . وروى لنا الرهبان القبط ان مار افرام السرياني لما دخل الكنيسة ليصلي ترك عصاه خارجاً على بابها ولما خرج من الكنيسة ألفاها قد اخضرّت ومنذ إذٍ جعل الرهبان يسقونها حتى اصبحت شجرة عظيمة وارفة الظلّ تكسو الدير كله وما برح الرهبان القبط حتى اليوم يتلون تحتها صلواتهم الفرضيَّة عند غروب الشمس »

واردف الاب جوليان :

« ان دير السريان هذا يحاكي دير البرموس واغلب بنائه معقود بقناطر وقبب طبقاً لعوائد السريان ومعاهدهم »

وناهيك ان الاقباط بعد ما استولوا على هذا الدير الجليل جعلوه معهداً لرهبانهم ومدرسة لاكليرسهم فتخرّج فيهِ عدَّة من بطاركتهم واساقفتهم وكهنتهم . ومما يستحقّ الذكر ان البطريرك غبريال السابع (١٥٢٦—١٥٧٠) ترهّب في دير السريان ببرية شيهات وعمّر ديري القديس انطونيوس والقديس بولا بعد دمارهما وكانا يخصّان السريان كما ذكرنا

وفي عهد يوحنا الـ١٧ (١٧٢٧—١٧٤٥) انشأ جرجس السروجي السرياني امير قومهِ كنيستين في كل من الديرين المشار اليها(١

ثمَّ ان غبطة السيد كرلس الخامس بطريركهم الحالي تلقى العلوم في هذا الدير سنة ١٨٤٤ ثم صار كاهناً وانتخب بطريركاً سنة ١٨٧٥ . وفي هذا الدير عينه تهذب الانبا اسحق مطران البهنسا وبني سويف وارتسم اسقفاً سنة ١٨٩٩ ثم مطراناً سنة ١٩٠٦ فيجدر بالطائفة القبطية الجليلة ان تؤدي للسريان شكراً جماً وامتناناً جزيلاً لان نفراً من بطاركتها واساقفتها تلقوا العلوم في ديرهم السرياني

١٢ مكتبة دير والدة الله السريانيَّة في صعيد مصر

كان السريان منذ اول امرهم مولعين بالعلوم مغرمين بالتأليف والتصنيف مشغوفين

١) تاريخ القبط (ص ٦٢٣)

بنسخ الكتب وجمعها حريصين عليها حرصهم على اثمن الجواهر وأسنى التحف وقد ورثوا هذه الحلة الشريفة عن آبائهم وأجدادهم وملوكهم العظام الذين استنبطوا صناعة الكتابة وزيّنوا قصورهم الفخمة بالمكاتب المعتبرة كما ذكرنا . وكانت لهم مدارس شهيرة ومعاهد علمية كثيرة رضع فيها افاويق العلوم عدد عديد من افاضل الكتبة وصنّفوا اسفاراً عديدة نادرة غدت دستوراً لمن جاء بعدهم . غير انه لسوء الحظ لم يصلنا من تلك الاسفار الّا النزر القليل ككتاب احيقار ورسالة مارا بن سرابيون . والسبب في ذلك ان السريان لما اعتنقوا الدين المسيحي ساقهم غلوّهم بديانتهم الى اتلاف ما ورثوه عن اجدادهم من المتروكات العلمية لانطوائها على المبادئ الوثنية (١

وزد عليه ان الملوك الوثنيين اتلفوا عدداً من تلك الاسفار كما افتعل ديوقلطيانس في السنة التاسعة عشرة لملكه اذ تقدّم الى جميع البلاد الخاضعة لدولته بتقويض كنائس النصارى واحراق كتبهم (٢ بل افضى الامر بالمسيحيين الى احراق كتب الكنيسة المقدسة الالهية في عهد قسطنطين عينه على ما ذكر اغابيوس المؤرخ الرومي المنبجي في تاريخه . بل ان الغيرة الدينيّة حملت السريان في العصور المتأخرة على القاء كتبهم للنار في بلاد العراق والهند وغيرها لاحتوائها تعاليم المبتدعين والاراتقة . على ان السريان لمّا هجروا المنوفستية واعتنقوا الايمان الكاثوليكي في قرقوش سنة ١٧٨٠ طرحوا في بئر كنيسة الطاهرة بالموصل جميع الكتب السريانية الحاوية شيئاً من تلك البدع . وكانت مجلدات كثيرة جداً تنطوي على مسائل مهمّة واخبار تاريخية ومباحث علمية في كل فن ومطلب

ومما يدعو الى الاسف ان مكاتب السريان في عواصم سورية كانطاكية ودمشق خصوصاً لم يبقَ منها اثر وقد اورد الكاتب المجيد حبيب الزيّات في كتابه « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها » فصلاً ممتعاً في مكتبة دير الشاغورة بصيدنايا التي كانت تشتمل على مخطوطات شتى سريانية وملكية ويونانية وغيرها افضت اللشامة بل الحماقة براهبات الدير الى احراقها واتلافها وقد روى جنابهُ الخبر في المشرق (١ [١٩١٠] : ٣٣٣)

١) راجع ما ذكرناه هنا (عدد ٤)
٢) اوسابيوس ك ٨ ف ٣ ص ٤٦٥

وقد وجد حبيب افندي الزيات (ص ١١٨) مخطوطين سريانيين احدهما منسوخ سنة ١٤٣١م سلما من الحريق

وكان بعض هذه المخطوطات قد انتُهب وبعضها نُقل الى خزائن الكتب في اوربة والى مكاتب دمشق وغيرها. على ان السلطان عبد الحميد أذن سنة ١٩٠٩ للجنة من اعيان المسلمين وعلمائهم ففتحوا مكتبة الجامع الاموي بحضور البارون فون سودن الالماني والدكتور فيوله فعثرا على قطع متعددة من الاسفار المقدسة باللغة السريانية الفلسطينية. ثم ظفر الدكتور بلحق لها ووجد صحائف كثيرة من الرقّ باليونانيّة واللاتينية والسريانية نُسخت منذ القرن الخامس (١ ص ٤). وكان في دير القديسة تقلا ايضاً مكتبة سريانية احرقها احد اساقفة الروم الارثذكس لكرهه اللغة السريانية (ص ١٦٠) ولمّا احترق الجامع الاموي سنة ١٨٩٣ التهم شيئاً من الكتب وتُلف ايضاً منها شيء كثير في خريف سنة ١٨٦٠ (٢

امّا المسلمون فان ضربنا الصفح عمّا اخبره كتبتهم عن احراق مكتبة الاسكندرية الشهيرة (٢ فقد ذكر ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٣٦٢) «ان صلاح الدين الايوبي لما فتح مدينة آمد اي ديار بكر سنة ١١٨٣م وجد في المكتبة الف الف واربعين الف مجلّد(٣ استحوذ عليها برمّتها ودفعها الى كاتبه القاضي الفاضل فحملها الى مصر

الى هذا الحدّ اتّصل السريان من الرغبة في العلم والتأليف وقد ظلّوا متمسكين بتقاليد اجدادهم على رغم ما ألمّ بهم من الحيف والعسف وما انتابهم من الغير والآفات والنهب والسلب والحريق فتوفّرت لديهم خزائن الكتب المشتملة على نفائس التآليف ونوادر المخطوطات. وكانوا اذا رأوا الملوك والولاة يحاولون سلبهم خزائنهم يحتاطون لها وينشطون لحملها الى بلاد اهلها متمتّعون بالراحة والطمأنينة وبناء عليه نرى جملة من اصحاب الهمّة والنشاط قد جمعوا عدداً كثيراً من هذه المخطوطات ونقلوها رويداً رويداً الى دير والدة الله الذي سبق آباؤهم فشادوه في صعيد مصر فاجتمع فيه في مدّة ليست بيسيرة الوف من الاسفار السريانية تتضمن

١) اطلب المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٩٦١ و ٥ [١٩٠٢] : ٩٧

٢) المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٤٧-٥٧   ٣) كذا ورد الخبر فنرويه على علّاته

شيئاً كثيراً من اسفار العهدين الاقدسين ومن الكتب المزورة والليترجيات والصلوات القانونية والقوانين البيعيَّة والمقالات الدينيَّة واللاهوتية والفلسفية والمنطقية والعلمية والتصانيف الكثيرة في الطبّ والفلك والطبيعيات والتاريخ والنحو الخ ممَّا يدهش العقول ويشده الالباب ويضطر ذوات العالم للاقرار بحذق السريان ورسوخ قدمهم في اصناف العلوم

وهذه المخطوطات النفيسة يرتقي عهد نسخ بعضها الى القرن الخامس والسادس مما يندر وجوده اليوم في أعظم دور الكتب وأهمها . ومنها ما كُتب باصله السرياني لاستعمال الطوائف السريانية والمارونية والملكية والكلدانية ومنها ما نُقل عن اليونانية والقبطية والعربية الى السريانية

أمَّا الفضل في جمع هذه الكتب الثمينة النادرة فعائد الى القس موسى النصيبيني الذي تولى رئاسة دير والدة الله نحو سنة ٩٢٠ فتكبَّد مشاقّ الاسفار وركب متن المخاوف والاقطار وجال في بلاد سورية وما بين النهرين والعراق بغية الافراج والتوسعة عن رهبان هذا الدير وكانت تراكمت عليهم ديون باهظة عجزوا عن تأديتها . فاضطرّ رئيسهم الغيور القس موسى ان يرتحل الى تلك البلاد ويتجوَّل فيها مدَّة ستة اعوام (١ متنقلاً من بلد الى بلد لا يفتر من الالحاح في استمداد الغوث لاسعاف الدير فتيسَّر له بعد جسيم العناء ان يوفي الديون ويوسع على الرهبان ويخفّف عنهم وطأة الذلّ ويخلّد له ذكراً طيباً جميلاً

واغتنم هذا الرئيس الغيور الفرصة ليجمع اثناء رحلته الكتب الثمينة وينقلها الى ديره بصعيد مصر . وكان وصوله الى بغداد سنة ٩٢٧ (٢ فجمع اذ ذاك مائتين وخمسين مجلّداً ضخماً من الصحف السريانية القديمة اشترى اغلبها بمبلغ وافر واستحصل قسماً صالحاً منها بمثابة هدية او وقف لديره (٣

وعام ٩٣٢ عاد القس موسى النشيط الى صعيد مصر ظافراً غانماً حاملاً تلك الكنوز اليتيمة (٤ وانشأ لها قاعة خصوصية ونظمها تنظيماً محكماً فاقبل الرهبان

١) مخطوط لندن عدد ٣٦

٢) مخطوط لندن ٧٦٩ ص ٧٤٠ من الفهرس

٣) مخطوطات لندن عدد ٥٤٧ و ٥٨٨

٤) مخطوط لندن عدد ٩١١

على التقاط فرائدها واقتباس فوائدها وجعلوا ينقلون عنها كتباً شتى خطُّوها بيدهم حتى اصبح عددها مع تعاقب الزمان يربو على الالف مجلَّد. وصرف آباء الدير ورهبانه العناية في صيانة تلك الآثار فجلَّدوها وجدَّدوها. وقد قرأنا في مخطوط لندن (عدد ٣٧٤) المنسوخ في هذا الدير سنة ١٢٦٢ حاشية أُضيفت اليه فيما بعد هذا تعريبها : «تجدَّدت هذه الكتب وتجلَّدت سنة ١٤٩٢م» ثم وردت فيه هذه الفقرة :

« انا العبد الحقير القس توما الماردينى لمَّا دخلتُ دير العذراء بصعيد مصر رأيت في مكتبته صحفاً كثيرة مكوَّمة بلا حساب ولا عدد نظَّفتها ونفضتها ورتَّبتها وأحصيتها فكانت اربعمائة وثلاثة مجلّدات فرتّبتها في برج القلعة سنة ١٦٢٤ »

وقد صرَّح الاب جوليان اليسوعي في رحلته الى هذا الدير(ص ٢٤ عدد ٧) انه كان يحتوي على برج فيه مكتبة ذكرها الاب سيكارد C. Sicard الرحَّالة اليسوعي الشهير (ج٣ ص ٢٧٩) بقوله :

« ان العلامة يوسف السمعاني الماروني وكيل المكتبة الواتيكانية برومية توجّه سنة١٧١٥ لزيارة اديار النطرون بصعيد مصر فاشترى جملة من تلك المخطوطات واستنسخ منها كتباً تعذَّر عليه اشتراؤها لان الرهبان لم يكونوا ليستغنون عنها ولو بوزنها ذهباً »

وما عدا ما جمعه القس موسى فقد كان يقصد هذا الدير جملة من الرهبان السريان من اطراف سورية وفلسطين وما بين النهرين والعراق ولاسيما من تكريت كما اشرنا حاملين اليه كتبهم لتلاوة الصلوات او للمطالعة او لئلَّا تأخذها يد الضياع او يثور ثائر الاكراد والاتراك فيعبثون بها ويحرقونها كما احرقها من قبلهم مَن ضارعهم في الهمجيَّة. وكان نفر من اولئك الرهبان يستعذب الاقامة في هذا الدير او في ما جاوره من اديار السريان او يعيّنهم البطريرك او الرئيس لخدمة النفوس في احدى كنائس مصر السريانية

ومن ثمَّ فقد نُقلت الى هذا الدير الشهير عدَّة صحف مهمَّة من بلاد السريان كتكريت (٢٢٠) (١ وقرقوش (٣٢٩) وراس العين وقرقيسيا (٣٠٦و٣٠٧) والرقّة (٣٣٦) وتلّ موزل وتلّ بسم (٢٤) ودنيسر (٢٢٦) والابراهيميَّة (٣٢٩)

١) الارقام تدل على عدد فهرس الكتب السريانية المخزونة في دار الكتب الكبرى بلندن

وباسبرينا (١٠٣٣) ودير مار ملكي (٢٢٦) وقلث (٣٠٢) وقرى طور عبدين (٨٤١) وتل كمثرى (٤٠) وحصن كيفا (٨٣) (٢ وبعيثل بحمص (١٣٥) وحارستا (٥٢٩) وحلوجا بسروج (١٤١) وسجستان (١٤٧و٤٦٩) والرها (١٦٩الخ)وزرجل (١٨٩) والمعدن (٢٢٥) وبلد وسنجار (٢٤٣) ورعبان عند الخابور (٢٩٥) وحصن زيد (٣٢١) ومرعش (٣٢٣) ودير زغل بتدمر (٥٨٥) وطورلاها بانطاكية(٦٢٦) وكنيسة القيامة ودير السيدة باورشليم(٦٢٩) ونابلس (٣١٨) وعكة (٩٦٣) والبقاع (٣٩٣) الخ الخ

ومن هذه المخطوطات ما نسخ في دير والدة الله عينه كما ألمنا كمجموعة للرهبان (٧٨١) نُسخت سنة ٨٢٣ وقس عليها المخطوطات (١٧٦ و ١٨٩ و ٢٠٩ و ٢٢٨) وغيرها

واول من احس بهذه التحفة الثمينة كان الاحبار الرومانيون فاوفدوا الى القطر المصري بادئ ذي بدء القس الياس اليسوعي الماروني فاستحصل عددًا نزرًا من الكتب حملها الى رومية. ولما تولى رئاسة الكرسي الروماني اقليميس الحادي عشر اوفد سنة ١٧١٥ المونسنيور يوسف سمعان السمعاني العلّامة الشهير الى وادي النيل فاشترى قسمًا صالحًا من هذه الاسفار السريانية ونقلها الى عاصمة الكثلكة وكتب في وصفها مقالةً رنّانة نبّهت افكار علماء اوربا ولاسيما الانكليز فنهضوا نهضة اليقظان وقصدوا هذا الدير وبذلوا كل غالٍ وثمين حتى اشتروا ما تبقّى فيه من الكتب وحملوها برمّتها الى لندن ونشروا فهرسها في ثلاثة مجلّدات وصرّحوا بما لها من الأهمية وما تضمّنته من الفوائد العلمية والتاريخيّة

ومن هذه الكتب النادرة ما اخذه بطاركة السريان عينهم او نقلوه الى بلاد اخرى فقد ورد في الجزء الثاني من خطب سويرا (عدد ٦٨٦ ص ٥٤٧) المنسوخ في دير شيلا بسروج سنة ٥٦٩م ان ميخائيل الكبير († ١٢٠٠) تصفحه وعلق عليه هذه الحاشية: « استحضرنا هذا الكتاب من مصر الى سورية وحتمنا ان يبقى

---

٢) قد ورد ذكر هذه البلاد والقرى في المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٧٣٠ و ١٦ [١٩١٣]: ٥٦١ وما يتبعها

مصوناً في دير برصوما بملطية في القلاية البطريركية ... كتبنا ذلك بيدنا سنة ١١٩٠ »

ومنها مخطوطات نُقلت الى دير مار مرقس باورشليم اخصُّها واقدمها كتاب بيتكاز ܒܝܬ ܓܙܐ يرتقي عهده الى القرن الحادي عشر. وقد ورد فيه انه كان يخصّ دير والدة الله بصعيد مصر وان «القس موسى النصيبيني رئيس الدير نقل اليه من بلاد ما بين النهرين ثلاثمائة وخمسين مجلدًا سريانيًا»

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة باريس كما يُستفاد من فهرسها المطبوع سنة ١٨٧٤ واخصها كتاب العهد العتيق (عدد ٢٧ ص ١١) نُسخ سنة ٧٢٠م. وقد ورد فيه ما شرحه : « وهبهُ لدير برية الصعيد في مصر رهبان تكريتيون يلتمسون الصلاة والدعاء لجميع التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من الاقباط بمبلغ اثني عشر الف دينار بمساعي ماروثا بن حبيب الرئيس الكبير»

ومنها كتب نُقلت الى برلين على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٩٩ فقد جاء (في عدد ٨ ص ١٧) ان ذلك السفر وهو كتاب الانجيل كان يخصّ دير والدة الله في برية الصعيد. وقس عليه كتاب الهدايا لابن العبري المنسوخ سنة ١٣٧٤ « في دير والدة الله ام الحياة المعروف بدير الناطف فوق دير الزعفران.. » وقد نُقل الى دير والدة الله بالصعيد ثم دخل في حوزة دار الكتب ببرلين

ومنها مخطوطات نُقلت الى اوكسفرد على ما ورد في فهرس مكتبتها المطبوع سنة ١٨٦٤ (عدد ٣٢ ص ٩٥). المشتمل على كتاب انجيل يوحنا ورد فيه ما شرحه : « انتهى انجيل يوحنا سنة ١٢٤٦ في دير الانبا يوحنا ببرّية الصعيد في عهد اثناسيوس بطريرك السريان المصريين ... بأمر الاسقف مرقس . كتبه حبيب للربّان اسحق اخيه »

ومنها ما نُقل الى مكتبة كمبردج على ما جاء في فهرسها المطبوع سنة ١٩٠١ فقد ورد في العدد (٣٢٨٠) المنطوي على تفسير اعمال الرسل ورسائل مار بولس انهُ نُسخ في ٢٢ ايار ١٦٠٧م في برية الصعيد قرب وادي نيطرون في دير والدة الله مريم المشهور بدير السريان . وهو ديرهم حقًّا كما يصرّح بذلك سجلّ الدير بقوله : « ان تجّارًا تكريتيين اشتروه باثني عشر الف دينار ذهب . كتب هذه السطور غريغوريوس

بهنام مطران اورشليم ، ومن ذلك يتضح جلياً ان الاقباط كانوا ينوون منذ القرن السابع امتلاك هذا الدير واغتصابه من السريان اصحابهِ وما برحوا يقلقون رهبانه ويُعنتونهم حتى استحلُّوه في السنين الاخيرة

ومنها اسفار نُقلت الى مكتبة ميلان بايطالية واخصّها نسخة نادرة المثال للكتاب المقدّس بالسطرنجيلية تتضمَّن اسفار العهد العتيق برمّتها القانونية وغير القانونية واليك فهرس ما جاء في هذا المخطوط العجيب تكملةً للفائدة(١ :

« التكوين . الخروج . الكهنة . العدد . تثنية الاشتراع . ايوب . يشوع . القضاة . صموئيل الاول والثاني . المزامير (٢ . الملوك الاول والثاني . الحكمة اي امثال سليمان . سفر الحكمة الجامعة . نشيد الانشاد . اشعيا . ارميا . رسائل ارميا وباروخ . رسالة ارميا . رسالة باروخ الاولى . رسالته الثانية . حزقيال . اسفار الانبياء الاثني عشر : هوشع . يوئيل . عاموس . عوبديا . يونان . ميخا . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجاي . زكريا . ثم دانيال . راعوث . سوسن . استير . يهوديت . ابن سيراخ . اخبار الايام الاول والثاني . رؤيا باروخ بن نريا المترجم من اليوناني الى السرياني . صلاة باروخ وهي ٨٥ فصلاً . عزرا الاول (السفر المدعو شلاتيل) . عزرا الثاني . كلام نحميا بن حاقيا . سفر المقابيين الاول . الثاني . الثالث . الرابع في المقابيين وامهم . ميمر على خراب اورشليم ليوسيفوس . ختمه الكاتب بقوله «انتهى كتاب المقابيين وهو خمسة اسفار الثلاثة في المقابيين والرابع في شموني واولادها والخامس في خراب اورشليم »

وقد ورد في آخره ما تعريبه : «هذا الكتاب يخص دير والدة الله في برية الصعيد ولا يجوز لاحد ان يخرجه منه ابداً » ثم ورد فيه ايضاً : « اذكروا ابا علي زيكري بن يوحنا الذي اشترى هذا الكتاب . . . ليطالعه الرهبان القاطنون دير والدة الله ببرية الصعيد » . ثم جاء فيه بخطّ احدث من السابق : « اقتنى هذا الكتاب الراهب عبد المسيح بن هيثم بن داود . . الدمشقي » ويليه ما شرحهُ « جلّد هذا كتاب العهد العتيق سنة ١٠١٦ م جلّده يعقوب الخاطئ »

ومما يقضي بالعجب ان بعض الكتب التي كانت في هذا الدير قد نقلت او بالحري أُعيدت الى بلاد ما بين النهرين . من ذلك مخطوط سرياني يخص اليوم مكتبة

---

١) وهي النسخة التي طبعها بالنور والحجر الكاهن العلّامة تشرياني (A. Ceriani) في ميلانو سنة ١٨٧٦ في مجلّدين

٢) وردت فيه هذه التعريفة «تاريخ داود المفرقة من اللغة الفلسطينية وقد استخرجت من العبراني الى اليوناني ومن اليوناني الى السرياني»

الكلدان ماردين يشتمل على نسخةٍ من رسائل مار بولس واعمال الرسل والرسائل القاثوليقية كتبت سنة ١٠٦٢ للشهداء و ١٣٤٦ م موسومة بعدد ١٩ ورد فيها ما شرحه : « نُسخ هذا الكتاب في دير مرقوريوس بمصر في طرا » . ويلوح من بعض صفحاته ان ايدي النساطرة واليعاقبة تداولته . وقد عُلّقت عليه حواشٍ وتنبيهات تشير الى الطقسين النسطوري واليعقوبي

على ان في القاهرة حتى يومنا كتباً سريانية قديمة ذات قيمة واعتبار مخبأة في بيوتات الخاصّة او في بعض المكاتب والمتاحف . وممَّا يؤيد قولنا ان القس بولس سباط السرياني الحلبي صاحب المكتبة الخطية قد عثر في هذه السنة ذاتها على مخطوط سرياني يرتقي عهد نسخه الى القرن الثامن او التاسع يتضمَّن الاناجيل المقدَّسة حسب الترجمة الحرقلية السريانية

(لها بقية)

نبذة في حياة الطيّب الأثر

الاب مارون ايطو الراهب اللبناني

بقلم القس طانيوس شبلي اللبناني

لقد توفي في السنة الماضية راهب من خيرة أبناء رهبانيَّتنا اللبنانيَّة عَنَينا به الاب مارون ايطو المشهور في رهبانيَّتنا بتقواه وفضيلته وخدمته لمطبعة دير مار انطونيوس قزحيَّا . فاحببنا ان نكتب كلمة موجزة عن حياته الصالحة تثبيتاً لذكره على صفحات المشرق الاغرّ « وذكر الصدّيق يدوم الى الابد »

وُلد هذا الراهب الفاضل في قرية أيطو من معاملة الجبَّة من ابوين تقيَّين ربّياه تربية مسيحية حقيقية حتى اذا بلغ السادسة عشرة من عمره الهمهُ الله تعالى الى الترهب فقصد دير مار شليطا القطارة وانضمَّ الى اخوانه المبتدئين فكان لهم خير قدوة بمثله الصالح . ولمَّا تمَّت سنتا تجربته نذر النذور الاحتفالية والبس الاسكيم الملائكي



الاب مارون ايطو (١٨٣٨–١٩١٤)

القس برزدوس ايطو رئيس الدير في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ وكان عمرهُ ١٨ سنة ثمَّ أُرسل الى مدرسة دير مار قبريانوس كفيفان فدرس فيها اللاهوت واصول اللغة السريانية والعربيَّة على احد اساتذتها الطيّب الذكر القس ميخائيل غوش التنّوري · وفي

٢٤ من نيسان سنة ١٨٦٢ رقّاهُ الدرجات الكهنوتيّة المطران يوسف المريض في دير السيّدة بكركي بامر السيّد البطريرك بولس مسعد بعد ان فُسح لهُ من عجز العمر: وفي اليوم التالي سامهُ كاهناً وفي ١٢ حزيران من السنة المذكورة نال التفويض من السيّد البطريرك بسماع الاعترافات

وبعد سيامتهِ كاهناً تسلّم وظيفة الحياطة بدير سيّدة ميفوق ثلاث سنين ثم عُهدت اليهِ ادارة مطبعة دير قزحيّا فنشط الى اتقان مهام وظيفتهِ هذه . فصبّ لها حروفاً جديدة جميلة عربيّة وسريانيّة ووضع «ابّايات وامّايات» جاءت تحفةً في ظرف نقشها وسبكها . فطبع فيها الشحيمة ثلاث طبعات وخدمة القدّاس والشبيّة طبعتين وكتاب الانجيل وغراماطيق القس نعمة الله الكفري . وقد اتقن تجليد الكتب اي اتقان فكانت في مطبوعاتها ناطقة بجهدهِ وجدّهِ وتعبهِ في طبعها وتجليدها . وقد ادار شؤونها ٥٥ سنة بهمّةٍ لا تعرف الملل لا يسأم ولا يتضجّر من العناء والتعب فبلغت بعنايتهِ واجتهادهِ مبلغاً سامياً من النجاح . وتخليداً لذكرهِ واعترافاً بجميلهِ وفضلهِ عليها وُضعت في ادارتها صورة لهُ مكبّرة وظلّ رحمه الله مهتمّاً بها الى آخر ايامهِ

ولمّا رأى فيهِ رؤساؤهُ الصفات الطيّبة والفضيلة الرهبانيّة الراسخة التي تؤهلهُ للوظائف عقد الرئيس العام الاب افرام جعجع البشرّاوي مع مدبريهِ جلسةً بدير سيّدة طاميش في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٧١ قرّروا لهُ فيها حقّ الاقتراع في انتخاب الرئيس العام في المجمع العام وابلغهُ ذلك بكتابٍ جاء فيهِ: «قد تداولنا بجمعنا المدبرين بعد الجلسة الخامسة من مجمعنا العام . . . فيما يلاحظ الاشخاص المستحقين الارتقاء للرئاسات وباقي وظائف رهبنتنا فوجدناكم اهلاً لان تكونوا من اباء المجمع العام مجازاةً لاتعابكم وصفاتكم الممدوحة نظراً لغيرتكم على مجدهِ تعالى وخير الرهبنة روحيّاً وزمنيّاً . ولكي تبقوا بوظيفتكم الناجحة بشخصكم (اي ادارة المطبعة) فبرأيٍ واحد قد اخترناكم ان تكونوا من اباء المجمع العام وانعمنا عليكم الصوت فيهِ رمياً . . . »

وقد ترأس رحمهُ الله على عدّة اديار . دير عشاش سنة ١٨٧٧ و ١٩٠١ فرمّمهُ ووفى دينهُ . ودير سيدة ميفوق ١٨٧٤ (وكيل رئاسة) وعلى دير قزحيّا اربعة مجامع غير متتابعة في ١٨٨٠ و١٨٨٥ و١٨٩٤ و ١٩١٠ فوفى ديونهُ واشترى لهُ ارزاقاً واسعة

ولم تكن مهامّ رئاسته لتشغلهُ عن ادارة المطبعة والاهتمام بها • وترأس ايضاً على دير سيدة النجاة في بصرما فسقّفهُ بالآجرّ وغرس لهُ حرجَ صنوبر وتوكّل على دير مار سمعان القرن للراهبات مجموعَين اي ست سنين وحفر في جنبه بئرًا وسيعة

ولما ثقلت عليهِ عوارض الشيخوخة ولم يعُد قادرًا على ادارة الوظائف الرهبانية التمس من رئيسنا العام الاب اغناطيوس داغر التنوري الكلي الاحترام ان يعفيهُ من وكالة دير القرن ويسمح لهُ بالسكن في دير مار انطونيوس قزحيا ليقضي بقية حياتهِ فيهِ • فكتب اليه الاب العام الجواب التالي المؤرخ في ١٧ تموز سنة ١٩١٥

بعد الترجمة : «وصلنا كتابكم الذي فيه تعرضون عن عجزكم الطبيعي والمرض الذي اصابكم وعن عدم قدرتكم على القيام بوظيفتكم وترجون بان نرسلكم الى دير قزحيا لتقضوا حياتكم فيه فكلّ ذلك صار معلوماً • فنحن قد تكدّرنا للغاية لعجزكم ولِما اصابكم من المرض وعليهِ قد استجبنا ملتمسكم وارسلنا لكم مأذونيَّة لكي تكونوا في دير قزحيا لتقضوا فيهِ ما بقي لكم من العمر وتنضمّوا الى اجدادكم الرهبان القديسين • وقد كتبنا الى حضرة رئيس الدير ليقوم بواجبكم ويسهر عليكم وذلك لِما لكم من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة والخدم الجليلة في جانب الرهبانية ولاسيما في دير قزحيا ومطبعتهِ • فنحن نقدّر حياتكم الرهبانية الثمينة التي قضيتموها بخدمتها حقّ قدرها ونسأل الحق سبحانه من صميم الفؤاد ان يكلّل حياتكم باكليل ميتة ابرار الرهبنة • وقد ارسلنا ولدنا الاخ ... ليتقيّد بخدمتكم وبما تأمرونه بهِ ... ولا يلزم ان نحثكم على ان تقدّموا اوجاعكم وامراضكم مع اوجاع وآلام سيدنا يسوع المسيح الذي حملتم نيرهُ الطيّب من صغركم • فاطلبوا منهُ ما كان يطلبهُ من ابيه السماوي وهو : «يا ابتاهُ فلتكمل مشيئتك .. بيدك اسلّم روحي ...»

فحالما وصلهُ امر الرئيس العام توجّه الى دير قزحيا وانقطع كل الانقطاع الى اتقان واجباته الروحية • فكان يُكثر من زيارة القربان المقدس وتلاوة السبحة الوردية متفرغاً الى عبادته تعالى مستعدًا الى ملاقاته شاكرًا لهُ السرّاء والضرّاء • وقضى فيهِ بعد نزوله من دير القرن تسع سنين مجاهدًا في كرم ربّهِ الى ان توفاه الله في ٤ نيسان سنة ١٩٢٤ لينيلهُ في السماء جزاء خدمتهِ لهُ • وقد حضر حفلة جنازه

عددٌ وافر من المطارنة والكهنة الخوارنة وأبنهُ حضرة القس لويس البتروني اللبناني معدداً فضائلهُ الرهبانية ودفن في مقبرة الدير مغموراً بسيول العبرات وتصعيد الزفرات. فكان رحمهُ الله وديعاً لطيفاً حسن المعاشرة محبوباً ومعتبراً من رؤسائهِ واخوانه الرهبان تلوح على وجههِ سِمات التقوى والقداسة. كافأهُ الله في سعادته الابدية اجزل مكافأة

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

شعراء النصرانية في عهد الدولة العباسية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسحق بن حُنَين

﴿اصلهُ ودينهُ﴾ هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حُنَين بن اسحق العبادي كان ابوهُ حنين من اشهر اطبَّاء عصره واجلّهم خدَمَ هارون الرشيد والخلفاء بعده ونقل الى العربيَّة كتباً عديدة من تآليف اليونان. وكان عباديًّا والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانيَّة بالحيرة كما ورد في المعاجم العربيَّة وغيرها والنسبة اليهم عِباديٌّ قال الشاعر يصف عباديًّا ساقي الخمرة:

يسقيكها من بني العباد رَشأٌ   منتسبٌ عيدهُ الى الأحدِ

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن العبريّ في تاريخ الدول (ص ٣٥٢). وكان لحنين ولدا داوُد واسحق فأمَّا اسحق فخدم على الترجمة وتولّاها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسهُ أميَل الى الفلسفة وأمَّا داود فكان طبيباً للعامَّة. وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ١٨٨): «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنَّف لهما كتباً طبيَّة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس. فأمَّا داود فاني لم اجد له

شهرةً بنفسهِ بين الاطبّاء ولا يوجد لهُ من الكتب ما يدلُّ على براعتهِ وعلمهِ وان كان الذي يوجد لهُ انّما هو كنّاش واحد . وامّا اسحق فانّهُ اشتهر وتميّز في صناعة الطبّ ولهُ تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانيّة الى العربيّة كتباً كثيرة الّا ان جُلّ عنايتهِ كانت مصروفة الى نقل كتب الحكمة مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء». وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٨٠): «وكان اسحق قد خدم مَن خدم ابوهُ من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً الى القاسم بن عُبيد الله (وزير المعتضد بالله) وخصيصاً بهِ ومتقدّماً عندهُ يُفشي اليهِ اسرارهُ» . وقال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٠١) ولحق اسحقَ في آخر عمره الفالجُ وبهِ مات وتوفي ببغداد في ايّام المقتدر بالله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ (٩١٠-٩١١م)

﴿آدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٥): «كان اسحق في نجار ابيهِ في الفضل وصحّة النقل من اللغة اليونانيّة والسريانيّة وكان فصيحاً بالعربيّة يزيد على ابيهِ في ذلك . . . ولهُ من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة كتابُ الادوية المفردة على الحروف. كتاب كنّاش الخفّ . وكتاب تاريخ الاطباء» . وقال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٠٠-٢٠١) «ولاسحق حكايات واشعار مستظرفة ونوادر» . وورد هذا في نسخة برلين (Ms de Wetzstein, 323,fol. 182ᵛ) . وذكر من كلامهِ قولهُ «قليلُ الراح صديقُ الروح وكثيرُها عدوّ الجسم» . ثم قال : ومن شعرهِ يذكر كبار الاطباء ويفتخر بالطبابة (من الطويل) :

انا ابنُ الذين استُودِعَ الطبّ فيهم ... وسُمّي بهِ طفلٌ وكهلٌ ويافعُ
يُبَصِّرني آرِسْتَطاليس بارعاً ... يقوِّم منّي منطقٌ لا يُدافَعُ
وبُقْراطُ في تفصيل ما أثبتَ الأُلى ... لنا الضرّ والاسقامَ طبٌّ مضارِعُ
وما زال جالينوسُ يشفي صدورَنا ... لِما اختلفَتْ فيهِ علينا الطبائعُ
ويحيي بنُ ماسَوَيهِ وأَهرُنُ قبلَهُ ... لهم كتب للناس فيها منافعُ
رأى انّهُ في الطبّ نِيلَتْ فلم يكن ... لنا راحةٌ من حفظها واصابعُ

(قال) ونُقلت من خط ابن بُطلان في رسالتهِ المعروفة بدعوة الاطباء انَّ القاسم ابن عُبَيد الله وزير المعتضد بلغهُ انَّ ابا يعقوب اسحق قد شرب دواءً مُسهلاً فأحبَّ مداعبتَهُ وكان صديقاً لهُ فكتب اليهِ (من الهزج) :

أبِنْ لي كيف أمسيتَ   وكم كان من الحالِ
وكم سارت بك الناقـةُ   نحو المنزل الخالي

فكتب اليهِ اسحق بن حنين (الهزج) :

بخيرٍ كنتُ مسرورًا   رخيَّ الحالِ والبالِ
فأمَّا السَّيرُ والناقـةُ   والمُرتَبَعُ الخالي
فإجلالُكَ أنسانيـهِ   يا غايةَ آمالي

ثمَّ ذكر لهُ تآليف غير السابقة منها كتاب فيهِ ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء. وكتاب الادوية الموجودة في كل مكان. وكتاب اصلاح الادوية المسهلة واختصار كتاب اقليدس وكتاب المقولات وكتاب ايساغوجي وهو المدخل الى صناعة المنطق واصلاح جوامع الاسكندرانيين وشرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط ومقالة في الاشياء التي تفيد الصحّة والحفظ وتمنع من النسيان ألَّفها لعبد الله ابن جمون وكتاب الادوية المفردة ومختصر كتاب صنعة العلاج بالحديد وكتاب آداب الفلاسفة ومقالة في التوحيد

٣ سعد التُّستري النصراني

﴿نسبهُ واخبارهُ﴾ اسمهُ ابو الحسن (ويروى: ابو الحسين) سعيد بن ابرهيم التُّستري نسبةً الى تُستَر او شوشتر من مدن خوزستان في العجم. ورد ذكرهُ في الفهرست لابي الفرج بن النديم (ص ١٣٤) : «قال ابن التستري . . . ويكنى ابا الحسين كان نصرانيًّا. قريب العهد من صنائع بني الفرات وهو وابوهُ يلزم السَّجع في مكاتباتهِ». ونقل الصفدي هذا الوصف في وافي الوفيات (Ms. de Paris, 706, fol. 130r) وروى

عن ياقوت «انهُ كان يكتب لعليّ بن محمّد بن الفرات » وزير المقتدر بالله. واخبر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص٣٣ éd. Amédroz,) انهُ لمّا أوقف الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦ﻫ (٩١٨م) ابا الحسن عليّ بن الفرات قُبض على التُستري مع مولاهُ واعتُقل عند نصر الحاجب. ثمَّ أُفرج عنهُ وعاد مع ابي الفرات الى ديوان الكتابة ثمَّ اعتُقل كلاهما ثانيةً سنة ٣١٢ﻫ (٩٢٢م) بعد وزارة ابن الفرات الثانية. وقد ذكرهُ الصابي في تاريخهِ (ص ٢٤٠) في جملة من كان يحضر مائدةَ الوزير ابن الفرات وما كان يجري فيها من العادات اللطيفة والآداب الشريفة في اكلهم وشربهم واصناف طعامهم وتأنُّقهم في مجالس الانس

﴿أدبُهُ وشعرهُ﴾ قال ابن النديم (ص١٣٤): «وللتُستري من الكتب كتاب المقصور والممدود على حروف المعجم وكتاب المذكَّر والمؤنث على ذلك الترتيب. وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب ورسائل مجموعة في كلّ فنّ». وقد نقل الصفدي قولهُ هذا بالحرف عن ياقوت ثمَّ اورد لهُ مقاطيع شعريَّة كما يلي. قال يحضُّ المرء على تسرية الهمّ عن نفسه (من السريع):

ما لك قد هيَّمك الهم وضلَّ منك الحزمَ والفهمُ
لو رُمتَ ان يبقى الأذى ما بَقي لا فرحٌ دامَ ولا غمُّ

قال الصفدي: قلتُ: مثلُهُ قول القائل:

لا تسألِ الدهرَ في ضرَّاء يكشفها فلو سألتَ دوام البؤس لم يدمِ

ثمَّ اورد لهُ في الغزَل (من المقتضب) (١:

قلتُ: زُوري. فأرسلَتْ: أنا آتيك سحره
قالتْ: بالليل كان أخفَى وأدنى مسرَّه
فاجابت بحجَّةٍ زادت القلب حسره:

١) هذه الابيات وما يليها في نسخة خطية من مكتبتنا الشرقية فيها شرح شواهد التنصيص (ص ١٦٥)

انا شمسٌ وانما تطلعُ الشمس بُكرَه

بكرة اي غدوة . وروى ابو الحسن احمد بن علي البتي الكاتب عن ابيه قال: كنا عند ابي الحسين سعيد بن ابرهيم كاتب ابن الفرات فغنّت ستارتُهُ (من الخفيف):

وعَدَ البدرُ بالزيارة ليلًا فاذا ما وفَى قضيتُ نذوري
قال: يا سيّدي لِمَ تُؤْثِرُ الليـــلَ على بَهجة النهار المنيرِ
قال لي: لا أُحبُّ تغييرَ رَسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

فاختلفت الجماعة لمن هذا الشعر . فقال بعضهم للناجم . وقال قومٌ للعباس وذكروا جماعةً فقال سعيد: هو لي . ثمَّ انشدَنا (من الخفيف):

قلت للبدر حين أعتَبَ: زُرْني وأشمتِ الهجر بالقِلى والتجافي
قال: انّي مع العِشاء سآتي فانتظرني ولا تخَفْ من خلافي
قلتُ: يا سيّدي فألّا نهارًا فهو أدنى لقُربةِ الائتلافِ
قال: لا استطيعُ تغيير رسمي انما البدرُ في الظلام يوافي

(قال) وكنتُ نقلتُ الابيات عن نسخةٍ صحيحة مقابلةً وارى الصواب في البيت الاول

*واَشمتَ الوصلَ بالقلى والتجافي

وقد جمع المعنيين ابو العلاء المعرّي في قوله

هي قالت لمّا رأت شيبَ رأسي واردات تنكُّرًا وازورارا:
انا بدرٌ وقد بدا الصبحُ من شَيْـــبك والصبحُ يطردُ الاقمارا
قلتُ: لابل اراك في الحسن شمسًا لا تُرَى في الدجى وتبدو نهارا

٤ ابو الحسن بن غسَّان

﴿اسمهُ ودينهُ﴾ قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠٢) انهُ ابو الحسن (ويُروى الحسين) الطبيب البصري. ودعاهُ ابن بطلان في كتاب دعوة الاطباء (ص ٩٠) بابي غسَّان. وجاء ذكرهُ في تاريخ فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل (ص ٩٦ éd. Gismondi) فكنَّاهُ بابي علي بن غسَّان وروى هناك نصرانيَّتهُ وما انفقهُ على نجاز بناء دير مار فثيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ ﻫ (٩٥٣م). فتبيَّن من ذلك انهُ كان نصرانيًّا كلدانيًّا من النساطرة

﴿اخبارهُ﴾ قال ابن القفطي (ص ٤٠٢): «هذا رجلٌ طبيب من اهل البصرة يعلّم الطبَّ ويشارك في علوم الاوائل وخدَمَ بصناعتهِ ملوك بني بويهِ وعلى الخصوص عَضُد الدولة فنَّاخسرو». وفنَّاخسرو هذا هو المعروف بابي شجاع من الملوك البويهيين وممدوح الشاعر المتنبي توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢ (٩٨٢م). وقال عنهُ ابن ماري في المجدل (ص ٩٦) انهُ كان «كاتباً لركن الدولة» وركن الدولة هو ابو عضد الدولة كان تولى اوَّلًا على اصبهان ثمَّ خلف اباهُ في تدبير الدولة في بغداد بعد اخيهِ مؤيد الدولة توفي سنة ٣٦٦ (٩٧٦م)

﴿أدبهُ وشعرهُ﴾ قال جمال الدين القفطي (ص ٤٠٢): وكان لابي الحسن هذا ادبٌ متوفر وشعرٌ حسن فمَّا قالهُ لعضد الدولة عند مسيرهِ الى بغداد (من المتقارب):

يسوسُ المَمالكَ رأيُ المَلك ويحفظها السيد المحتنك

فيا عَضُدَ الدولةِ انهَض لها فقد ضيعت بين شش ويك

شَشَ وَيكَ عددان فارسيَّان معناهما في لعب النرد (الطاولة) ستَّة وواحد. قال ابن القفطي: «وذلك لانَّ عزّ الدولة بختيار الذي اخذ عضد الدولة الامر منهُ كان لَهِجاً بلعب النرد». قال: ومن شعر ابي الحسن ايضاً في بختيار الذي اخرجهُ عَضُد الدولة عن العراق يهجوهُ ويستهجن عزمَهُ ويستضعفهُ:

اقام على الاهواز سبعين ليلةً يدبّر امر المُلك حتى تدمَّرا

يدبّر امرًا كان اوّلهُ عمًى وأوسطهُ بلوى وآخرهُ خرا

وممّا ورد لابن غسّان في كتاب دعوة الاطباء وهو يدعوهُ هناك بابي حسّان بن غسّان (ص ٩٠) قولهُ في احكام الدهر والموت (من الخفيف) :

حكمُ كأسِ المنون أن يتساوى في احتساها الغبيُّ والألمعيُّ
ويحلّ البليدُ تحت ثرى الأرضِ كما حلّ تحتها اللوذعيُّ
اصبحا رمّةً تزايلَ عنها فعلُها الجوهريُّ والعرضيُّ
وتلاشى كيانُها الحَيَواني وتوارى تقدّيها المنطقيُّ

٥ الموصلي النصرانيّ

هكذا رواهُ البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ (ص ٦٩–٧٠ éd. Schwally) ولم يزدنا علماً . وهو كما يظهر من شعراء اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة لان البيهقي الذي ذكرهُ عاش في ذلك العهد ثم ذكر لهُ ابياتاً في مديح بني هاشم (من الطويل) :

عَدِي وتَيْمٌ لا أحاولُ ذكرَهُمْ بسوءٍ ولكنّي محبٌّ لهاشمِ
وهل تأخُذَنّي في عليٍّ وحبّهِ اذا لم أعِبْ يوماً ملامةُ لائمِ
يقولون . ما بالُ النصارى تحبّهُ واهلُ التُّقى من مُعربٍ وأعاجمِ
فقلتُ: لهم اني لأحسبُ حبَّهُ طواهُ إلهي في قلوبِ البهائمِ

٦ يحيى بن عدي

❊نسبهُ وزمانهُ ودينهُ❊ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦١ وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥)

هو ابو زكرّيا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريّا المنطقي نزيل بغداد واليهِ انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكميَّة في زمانهِ . قرأ على ابي بشر بن متى بن يونس (الفيلسوف النصراني) وعلى ابي نصر الفارابيّ وعلى جماعة في وقتهم وكان نصرانياً يعقوبي النِحلة . قال القفطي (ص ٣٦٣–٣٦٤)

« مات الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٦ هـ وهو لثلث عشرة من آب سنة ١٢٨٥ للاسكندر (٩٧٤م) ودُفن في بيعة القطيعة ببغداد وكان عمرهُ ٨١ سنة شمسيَّة ورأيت في بعض التعاليق بخطّ من يُعنى بهذا الشأن : وفاتهُ كانت في اليوم المقدَّم ذكرهُ من الشهر المقدَّم ذكرهُ من السنة ٣٦٣(٩٧٤م) »

﴿اخبارهُ وآدابهُ وشعرهُ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان يحيى جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدت بخطهِ عدّة كتب » . وقال القفطي : « كان ملازماً للنسخ بيدهِ كتبَ الكثير من كل فنّ وكان يكتب خطّاً قاعداً بيناً » . قال ابن النديم : « وعاتبتُهُ على كثرة نسخهِ فقال لي : من اي شيء تعجب في هذا الوقت من صبري ؟ وقد نسختُ بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتُها الى ملوك الاطراف وقد كتبتُ من كتب المتكلمين ما لا يُحصى . لعهدي بنفسي وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقلّ » . ثمَّ عدَّد لهُ جمال الدين القفطي كتباً كثيرة ألّفها في المنطق وابواب الفلسفة او عرَّبها عن ارسطاطاليس وغيرهِ من اليونان . ولهُ عدَّة فصول حسنة في الدفاع عن العقائد النصرانيَّة وتفنيد مَن تعرَّض لها وقد نشرنا شيئاً من ذلك في المشرق سابقاً(١

وقد وقفنا على فصلٍ كتبهُ عن يحيى شهابُ الدين العمري صاحب مسالك الابصار (نسخة المكتبة الخديويَّة ص ٣٣٦–٣٣٧) قال في باب طبقات الاطباء :

« ومنهم يحيى بن عدي ابو زكريّا المنطقي حكيمٌ علمهُ والوَدْق سِيَّان ، وقلمهُ والبرق سيَّان ، كان اوَّل حالهِ عالماً في ملّتهِ ، ومعلّماً لاهل قبلته ، وعُرِف بالمنطق مع انهُ بعض علومهِ ، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومهِ ، وأضاءت لهُ من الادب لُمَعٌ تمَّت فضائلهُ ، وتمَّت هلالهُ والبدور الكوامل بفضائلهِ »

---

١) اطلب ما نشرهُ حضرة الكاهن اوغست بيريه (Aug. Périer) من ترجمة يحيى وتآليفهِ اللاهوتية (اطلب المشرق ١٩[١٩٢١] : ٦٢١)

وليحيى بن عديّ شعر قليل منهُ قولهُ في مَن يردُّ اعتقاد اسرار الدين لعدم فهمها (Paris, Ms 101, f 45r) (من البسيط) :

أفعَمْتَ فَحْصَ المعاني عن حقائقها فلم يَبِنْ لك اذ لم تُحسِن النظرا
فالشمس تَخفى على من ليس ذا بَصَرٍ وليس تَخفى على من أُعطيَ البَصَرا

وحدث الآمدي ابو الحسين انهُ سمع من ابي علي بن زرعة تلميذهِ يقول: انَّ ابا زكريا يحيى بن عدي وصّى اليهِ ان يكتب على قبرهِ حين حضرَتهُ الوفاة وهو في بيعة توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين (من الخفيف) :

رُبَّ ميتٍ قد صار بالعلم حيًّا ومُبقًّى قد مات جهلًا وغيًّا
فاقتنوا العلمَ كي تنالوا خلودًا لا تَعُدُّوا الحياةَ في الجهل شيًّا

٧ ثابت بن هارون

﴿نسبهُ واخبارهُ وشعرهُ﴾ هو ابو نصر ثابت بن هارون النصرانيّ الرقيّ العراقيّ. قال ابو الحسن علي الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٤م) في كتابهِ دمية القصر وعصرة اهل العصر (Flügel, Ms de Vienne, I, 367, f. 46-47) :

«ومن شعراء العراق ابو نصر ثابت بن هارون الكاتب النصراني». وعُرِف زمانهُ بما كتبهُ في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ولم يذكر شيئًا من اخباره ثم قال: ومن شعرهِ قولهُ في من يحجب بابهُ (من الوافر) :

على ربعٍ يحقُّ بهِ الحجابُ ويُغلَق منهُ دون الخير باب (١
سأهجرُ كلَّ بابٍ ردَّ دوني اذا ما ازورَّ او خُشيَ الحجابُ

ثمَّ ذكر لثابت بن هارون الرقيّ رثاء قالهُ في المتنبّي الشاعر (المتوفى سنة ٣٥٤هـ

---

١) ويروى: دون الحرّ بان

(٩٦٥م) وهذا مما شذَّ عن الثعالبي (١ وذهب عنهُ شعرهُ. واذا كان المتنبي في طبقات يتيمتهِ من المصريين فالذي بعدهُ ممَن يُهدي المرثية اليهِ وينوح مع وُرْق الحمام عليهِ أَولى بأن يُعدّ من الطبقة. وقد عرض عليَّ ابنُ الشيخ ابي الحسن علي بن يحيى الكاتب في ديوان الحضرة «ديوانَ المتنبي» مُحلَّى الظهر بتوقيعَين لهُ خطَّهُما بيمينهِ واثبت بها أسماع هذا الفاضل اشعارهُ منهُ مرَّتين فرَنيتُ وعرض مجموعها على سمعهِ كرَّتين. وجرى بعد حصوله تحت كلاكل الأجل المتاح، وتصديقهِ قولهُ في ترك مهجتهِ سائلةً على كلّ الارماح، على قضيَّة كرم العقل واستثار الامير عضد الدولة على فاتك وبني اسد». وهذا رثاؤهُ المتنبي (من الكامل)

الدهرُ أخبثُ (٢ والليالي أنكدُ ... من ان تعيشَ لأهلها يا احمدُ
ذُقتَ الكريهةَ بغتةً وفُقدتَها ... وكريهُ فَقْدِكَ في الورى لا يُفقَدُ
قُل لي ان اسطعتَ الكلام (٣ فإنني ... صَبُّ الفؤادِ الى خطابك مُكمَدُ
أتركتَ بعدكَ شاعرًا واللهِ لا ... لم يبقَ بعدكَ في الورى مَنْ يُنشِدُ
ما كان تاركَكَ الزمانُ لاهلهِ ... انَّ الزمان على الغريبة يحسدُ
قصدَتك لمَّا أنْ رأتك نفيسَها ... بُخلًا بمثلكَ والنفائسُ تُقصَدُ
غدرَ الزمانُ بهِ فجارَ ولم تزل ... يدي الزمان ببأسهِ تستنجدُ
لَقِيَ الخطوبَ فَبذَّها (٤ حتى جرى ... غَلَطُ القضاء عليهِ وهو تعمُّدُ

وقال يستثير فيها ابا شجاع عضد الدولة على فاتك وبني اسد :

صه (٥ يا بني اسدٍ فلستُ بنجدةٍ ... آثرتُ فيهِ بل القضاء يُقيِّدُ

١) يريد انَّ الثعالبي سها عن ذكر ثابت بن هارون فلم ينظمهُ في جملة الشعراء في كتابهِ يتيمة الدهر

٢) ويروى: الدهرُ أنكى ٣) ويروى: الخطاب. ويروى: الجواب

٤) ويروى: وبذَّها ٥) ويروى: مَه

يا ايها الملكُ المؤيَّدَ دعوةً ممَّن حَشاهُ بالأَسى تتوقَّدُ
هذي بني اسدٍ بضيفك اوقعَتْ وحوَتْ عطاءكَ اذ حواهُ الفرقدُ
ولهُ عليك بقصدهِ يا ذا العلا حقُّ التجرّمِ والذمامُ الأوكدُ
فارعَ الذمامَ وكن لضيفك طالباً انَّ الذمام على الكريم مؤيّدُ
وأرعَ الحقوقَ لقصدهِ وقصيدهِ عضدَ الملوكِ فليس غيركَ يُقصَدُ
واذا المكارم والمحامدُ أُسندَت فالى الامير ابي شجاعٍ تُسندُ

٨ بشر بن هارون

﴿اصلهُ ودينهُ واخبارهُ﴾ هو ابو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي . وهو كما يلوح لنا من قرابة ثابت بن هارون السابق ذكرهُ . وكان لبشر اخوان ابرهيم وجابر ذكرهما الطبريّ في تاريخهِ (٣: ١٥١١ و١٥٢٤) وقال هناك بشر وابرهيم كانا كاتبين لمحمَّد بن عبدالله بن طاهر الامير والي العراق من قبَل المتوكل . واخبر انهُ في السنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) شغَبَ الجند والشاكريَّة في بغداد وانتهبوا الدواوين وقطعوا الدفاتر فالقوها في الماء وانتهبوا دار بشر وابرهيم ابني هارون النصرانيَّين كاتبي محمَّد ابن عبدالله وذلك كلُّهُ في الجانب الشرقيّ من بغداد . ثمَّ ذكر جابراً اخاهما وقال عنهُ ان محمَّد بن عبدالله وجَّههُ الى طبرستان لبعض اموره

قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 706, fol. 130.) : كان ابو نصر بشر بن هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء . فممَّن هجاهم ابو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة ابن عضد الدولة بن بويه المولود سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧–١٠٢٥ م) وكان سابور قليل الالفاظ جافي الاقوال دقيق الخطّ منتظمهُ قصير التوقيع مختصرهُ كثير الشرّ مخوف البطش شديد التأثر في المعاملات والميل الى المصادرات . فقال بشر يهجوهُ (من الكامل) :

سابورُ وَيْحك ما أخسَّكَ م ما أخصَّك بالعيوبِ
وأكَدُّ وَجْهك بالشناءِ م ةِ للعيون وللقلوبِ
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم م كيف يحسُنُ في القطوبِ

واخبر ابن حمدون في تذكرته (Ms British Museum, Or. 3179, fol. 98) قال: حضر يوماً بشر بن هارون وجماعة من الكتَّاب في دار محمد المهلّبي الوزير بحيث يراهم ويسمع كلامهم وهم لا يشاهدونهُ فانشأ احدهم يقول:

سبالُ الوزيرِ سبالٌ كبير

فقال الآخر:

وعقل الوزير وفضلٌ صغير

فقال بشر بن هارون

زيادةُ هـذا بنقصان ذا كما طال هذا النهارُ القصير

فخرج اليهم المهلبي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم واجاز كلَّ واحدٍ

وجاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ابي المحاسن (طبعة نيويرك ص ٥٩) وفيها (اي سنة ٣٨٥–٩٩٥م) توفي بشر بن هارون ابو نصر النصراني الكاتب وكان شاعرًا هجّاء خبيث اللسان كتب مرَّة الى ابرهيم الصابي (السريع):

حضرتَ بالجسم وقد كنتَ لو بالنفس لمَّا تَرَني حاضرا
أنطقتني بالشعر حتى الكم ولم اكن من قبلها شاعرا

فكتب اليه الصابي تحت خطّه: «ولا بعدها»

(لها بقية)

في غياب الطبيب

بقلم الحكيم امين الجُميّل

الانسان في كلّ آن وبكل مكان عرضةٌ للطوارئ من الخارج وللمفاجاءات من الداخل. فهي تأتيه من كلّ صوب ومن كلّ نوع. وهو هدفٌ لها مهما يُبالغ في اجتنابها. وقد لا يمنع الحذرُ القدَرَ وربّما ساق الحذر، ان كان على غير اصولهِ، الى الوقوع في الضرر

وهب ان فاجأت الطوارئ فما يكون العمل؟

ان لكل امرٍ أسلوبَهُ وطرُقهُ وغايتهُ فإن أُهملت او أُسيء استعمالها اصبحت وبالًا وأدّت الى عللٍ شتّى بل الى الموت. واليك البيان ببعض الامثال

هذا زيدٌ أُصيب بجرح واذا بعجوز أسرعت الى نسيج العنكبوت فلصقته على الجرح وذلك النسيج كما لا يُخفى مستقرٌ للغبار المشحون بالجراثيم الموّلدة للتقيّح والتعفّن والحمرة والغنغرينة والمؤدّية الى اشدّ العلل حتى البتر. وبعلّة هذه المداواة العادمة الفطنة اصبحت مصيبة زيد الصغيرة بليّة كبيرة بما جلبهُ ذاك الغبار من الارتباكات والاختلاطات

وهذا بولس اذ كان يشتغل في الحديقة وخزتهُ شوكةٌ فسال دمُهُ وبادر لايقافهِ الى قبضة تراب فذرّهُ عليهِ. فما مضت أيام قلائل حتى ظهرت فيهِ اعراضُ الكُزاز الداء العُضال (le tétanos). ولا عجب لانْ جرثومتهُ كثيرًا ما تعشش في التراب

ولدت الجارتان مرتا ومريم في يوم واحد وظروف متشابهة وكانت مولّدة مريم (دايتُها) باقية على عاداتها القديمة لا تبالي بالنظافة وتستهزئ «بموضة» التطهير. فما لبثت مريم ان أُصيبت بحُمّى النفاس فماتت ولحقها ولدها. امّا مرتا فاستعانت بقابلة قانونيّة تقلّم اظفارها وترتدي بثياب بيضاء طاهرة وان دفعت الحاجة الى معاونة النفساء طهّرت يديها ولا تمدّهما الى مكان الّا اذا سبق غسلُهُ او تطهيرهُ. فقامت مرتا سريعاً من نفاسها بتمام النشاط والصحة ولم تشعر البتّة بدرجة من الحمّى

فلمثل هذه الاحوال واستدراكاً لما يحدث عن جرح وكسر وغرق وحرق واغماء

واختناق وغيرها من الآفات رأينا ان ننشر على صفحات المشرق ما ينبغي للعامّة ان تعرفهُ أتمّ المعرفة لتتقيَّد بهِ قبل وصول الطبيب او عند غيابهِ او عدم وجودهِ وبديهي انَّ دقيقة تأخير او برهة اهمال قد تذهب احياناً بسنين من العمر او تقضي باشهُر من الاوجاع او تفضي الى التلف والتشويه . والاسعاف على غير اصولهِ إجحاف يذكّرنا بذاك الدب الشفيق الذي عمد الى بلاطة ليزيل عن وجه صاحبهِ ذُبابةً فشجّ بها رأسهُ

وزِدْ عليهِ انَّ الطبيب لا يرافقنا حيثما اتّجهنا وليست الادوية والعقاقير رهينة امرهِ اينما وُجد . امّا الطوارئ والمخاطر فهي على عكس ذلك لُحمة الحياة وسَداها . وكفى هذا السِفر نفعاً أن يجد فيهِ القرّاء فصلاً جديدًا من «علم الصحة» وحلقةً من سلسلة «علم الوقاية» المنشورَين سابقاً

١ اعتبارات اجماليّة وملحوظات اوّليّة

﴿ ثبات الجأش وهدوء البال ﴾ لهاتين الحالتين من احوال النفس المقام الاوّل في كلّ الطوارئ . فانّنا على قدر مقابلتنا الامور المفاجئة بهدوء ورباطة نفس ننال قسطاً وافرًا من شروط النجاة وتتوافر شروط السلامة . وبعكس ذلك مَن يُضِع رشدهُ قد يُضِع عمر

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العَجز ان تكونَ جَبانا

ان اراحةَ الفكر والقلب واجبة كراحة الجسم ومداواة العضو المصاب . بيد انَّ ثبات الجأش وشدَّة العزم وكلاهما كفيل بالنجاح والسلام في كثير من امور الحياة لا يحصل عليهما الانسان الَّا بالتربية والمزاولة الطويلة على تعدُّد الحدثان مع الحرص على نقاوة الضمير وصبوّ النفس الى العلاء حيث مصدر الحياة والأمل ومهبط القوّة والرجاء.

أعرفُ مُرسَلاً مشهورًا بورعهِ كما اشتهر بكبر نفسهِ وشدَّة عزمتهِ . فاذ كان يوما يقيم ذبيحة القدّاس فاجأتهُ سكتةٌ شلّت خدَّهُ وعينهُ . ففقه حالاً الخطر لكنَّهُ بعد ان تفكَّر هنيهةً ورأى نفسهُ مستعدَّةً لكل طارئ شدَّد قلبَهُ وتابع صلاتهُ بكل

طمأنينة ثمّ ثبت مثابرًا على اعماله العاديّة بكل نشاط ونجا من تلك الازمة

فبمثل هذه الطمأنينة في النفس والطهارة في الضمير نودّ ان يقابل الجميع حوادث الحياة . وبئس الاضطراب والذعر عند وقوع تلك الطوارئ . وكذلك يجب على من حضر وتولى اسعاف المصاب ان يظهر بمظهر الهدوّ والاطمئنان فينعشهُ وينهض همّتهُ ويخفّف عليهِ المصيبة . مع الاسراع الى اتخاذ كل الوسائل الموافقة لحالته

﴿ التطهير ﴾ ليس الضرر والخطر في ذات الهرس او الجرح او الحرق الذي يصاب بهِ الانسان ولا في الرصاصة التي طرأت ما لم تنفذ في بعض الاعضاء الحيويّة كالقلب او بعض نقط النخاع او شريان عظيم . وانما الخطر ان يُفتح ذاك الجرح او القذيفة منفذًا لولوج الجراثيم المرَضيّة . والبرهان على ذلك انّ جرّاحي عهدنا بعد اكتشافات باستور يُقدمون بكل طمأنينة على اعظم الاعمال الجراحيّة فيشقّون البطن (في عمليّة الفتق اليوميّة) ويكشفون الدماغ ويخيطون القلب بدون ان يُصاب العليل بأذى حمّى او تقيّح او ضررٍ ما لتقيّدهم التامّ بسُنَن التعقيم والتطهير

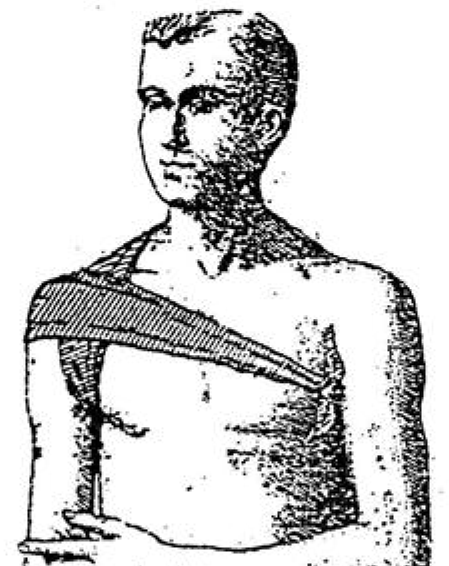
ولنا برهان آخر على قولنا . ان أُصيب احدٌ بكسر عظم على ما يكون حينذاك من جراح باطنيّة بالعضلات دون جرح الى الخارج كان الشفاء قريبًا اكيدًا لان الجراثيم الخارجيّة المحيطة بنا من كلّ صوب لا تجد منفذًا الى ذاك الجرح . وعلى خلاف ذلك قطع الاتّصال الصغير الظاهر اذا أُهمل امرهُ ولم يُبادر الى علاجهِ بالتطهير قد يؤدّي الى المرض حتى الموت

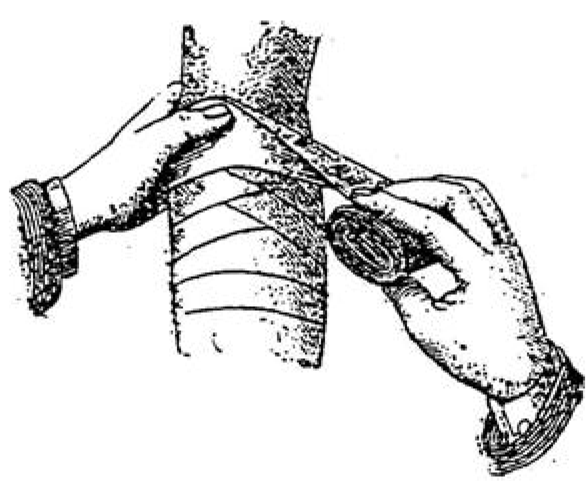
والقاعدة في ذلك ان تُخلَع الملابس برفق وخفّة مباشرة بالاعضاء السليمة وان صعُبَ نزع الملابس فلتُشقّ بغير تردّد . ومتى أُعيدَ اليه لباسهُ فالامر بالعكس يُبدأ بالعضو العليل . وعند اللزوم فليُنقَل المصاب محمولًا او ممدودًا على لوح مغطّى بإحرام او سُلَّم مكسوّ بفراش

وان كان الجرح ظاهرًا في الجسم فلا يُقدمنّ احد الى علاجه الّا بعد تطهير يديه وابعاد كل ما هو دنس قذر ثمّ يُغسل الجرح بماء سبق اغلاؤه ليتنظّف من كل جسم غريب وجرثومة ضارّة . ويُفضَّل غسل الجرح بالماء المغلى اي المعقّم والحارّ منهُ أقدر على التنظيف واوفق لحيويّة الخلايا وانسجة البدن . ويحسن ازالة الشعر والوبر المحيط بالجرح . ولا تُتّخذ ادوات التطهير إلّا معقّمة بالإغلاء او مشوّطة على لهب الكحول .

وبدون تأخير يغطّى القسم العليل بشاش او برفادات قطن مصّاص او شاش او انسجة بعد الاغلاء لإهلاك ما تحتويهِ من الجراثيم بالحرارة بأن توضع طبقاتٍ رقيقة في قِدْر مقفلة لمدّةٍ لا تنقص عن عشر دقائق . والاطباء قد اعتادوا في مثل هذه الحوادث إغلاء الماء فورًا على وجاق كازي (بترولي) لحاجتهم اليهِ في كل حال مع حقنة يستخدمونها للتنظيف بزَرْق الماء المعقّم . وهذه الطريقة للتطهير افضل من استخدام محلول السليماني $\frac{1}{1000}$ او الفينيك او اليودوفرم وغير ذلك من المطهِّرات التي ظهر بالاختبار عَجْزها عن قتل الجراثيم واذا قتلتْها سمّمت الانسجة المطلوب علاجها مع انها هي المكلّفة بمناهضة الجراثيم مباشرةً واهتضامها والكافلة بقوّتها الطبيعيّة ان تلحم الجرح وتشفيهُ

وجلّ ما يُسمَح بهِ الآن من هذه العقاقير الكيماويّة ، اذا ما خُشي من وفرة الجراثيم وخُبثها، ان تُصَبّ بعض قطرات من صبغة اليود على المكان المطلوب تطهيره ثمَّ يُغطّى بقطعة من الشاش او القطن المعقّم ويُثبّت بضماد اي رباط نقيّ (انظر الرسمين ١ و ٢)





١ رباط اسطوانيّ عاديّ : وقد وصل المساعد في كرّه الى ما يسمى الانعكاس انقلاب وجهُ الرباط (حيث يكون بروز في العضو) ليكسب الرباط اندماجاً وانتظاماً

٢ رباط بسيط للغاية كثير الاستعمال والفائدة . وما هو الاّ فُوطة عاديّة مستطيلة لمعالجة الكتف بشكل العدد 8 الافرنجي

الى ان يحضر الطبيب ان لزم او الى ان يستبدل لِما يتشرَّبهُ من الدم او الافرازات . ويُستعان بكُرَيات قطن معقَّم تُرمى بعد مسحها الدم او ما هناك من الادناس . ومن المعروف ان الانسجة المرضَّضة والمهرَّسة تقلُّ حيويَّتها وتتوافر فيها الجراثيم فيتحتَّم التوفُّر على تطهيرها . والجرَّاحون الآن يستأصلونها بالمبضع على عكس الانسجة المجرَّحة باداة مشحوذة طاهرة سريعة الاندمال

وعلى من يتولَّى العناية بالجريح ان يطهّر جيّدًا يديهِ بالماء والصابون (والصابون البلدي الطبيعي افضل من سواه) . ويشير بعضهم بمسحهما بالكحول القويَّة . فقد سبق انَّ اليدين وسائر الادوات ان لم تطهَّر اصبحت آفةً على الجريح . ومن ثمَّ ترى الجرَّاحين بعد تنظيف ايديهم يلبسون كفوف المطَّاط المطهَّرة المعقَّمة

١ الجراح والحروق

ما أوفر حدوثها وما أوجب اتقاءها في عصر المعامل والمحركات والادوات الجديدة ولاسيما الاوتوموبيلات . فالسائر في الشوارع يحمل حياتهُ على كفهِ . والمشي في الطرق العموميَّة بعهدنا يحتاج الى قواعد خصوصيَّة منها ان يربط سير حذائهِ ربطاً متيناً بعد ان يتَّخذه قصيرًا وان ينظر يمنةً ويسرةً والى امامهِ وخلفهِ ويحذر من قراءة جريدتهِ وليزدد حذرًا عند اجتيازهِ مصلَّبات السكك لوفرة الزحام عندها ذاكرًا الآية الكريمة : من احبَّ الخطر باد فيهِ . ومن المعروف وجوب اخذ اليمنة في السير امَّا عند الانكليز فاليسرة

ومن حسن الاحتياط ولاسيما في المصانع ان تحظَّر الملابس الطائرة الاهداب الطويلة الاذيال وكل ما يمكنه ان يعلق بما حواله وطبقاً لِما وردَ في سفر تثنية الاشتراع ينبغي للكل ابدًا اقامة ارصفة للشوارع ودرابزونات وحواجز حيث تمسُّ الحاجة اليها وكل ما يضمن سلامة الاجسام من الطوارئ . كتوسيع السكك وتقويم خطوطها وتخصيص بعضها للذهاب وغيرها للإياب . كما انهُ يجب على السوَّاقين تفريغ فكرهم لعملهم دون سواهُ واجتناب كلّ محادثة مع الركَّاب ولاسيما المسكر

واذا حصل (الجرح) فيقتضي علاجهُ بما سبق بيانهُ من تطهير وتنظيف وتضميد .

أمّا ان كان رضٌ فقط ولو مؤلماً فيكفي غالباً التعويل على الراحة والرفادات والكمادات الباردة او الحارّة

وأمّا (الحرق) فالوصيّة الاولى الابتعاد عن اسبابهِ اي الوقاية . قال معّازٌ لرفيقهِ : ما ابرعَ ما كان ابي في تجبير الماعز . فاجابَهُ رفيقهُ : بل كان ابي ابرع منهُ اذ كان يقيها من الكسر . وعليهِ ليست حماقة اعظم من عمل اولئك المشتغلين بالموادّ الملتهبة كالبنزين او المجاورين للبترول ولفائف الدخان في يدهم . ومثلهم الواضعون علب الكبريت بجانب المواقد والنساء اللواتي يملأنَ المصابيح ليلاً بقرب شمعةٍ موقدة او وجاقٍ مشتعل والذين يتصرفون بطياشةٍ بالكحول كأنها الماء

وافظع من ذلك ما عاينتهُ في قرى القطر المصري حيث تتماسّ البيوت المنخفضة السقوف وسطوحها ابدًا مغطّاة بالحطب والقشّ والهشيم اليابس . وقد جاهرتُ لساناً وكتابةً باستغرابي لتساهل الحكومة في مثل ذلك مع كثرة ما يحدث هناك من الحريق الذي ينتشر بسرعة فيذهب بقريةٍ برمّتها . كما ان تلك المساكن بسبب الزحام وقلّة النور والنظافة تُصبح عشّاً لضروب الجراثيم والاوبئة التي لا تحلّ في بيت حتى تشيع وتذيع في جوارها . ولذلك كنتُ قد اقترحتُ على حكومة القطر العزيز ان تضع نظاماً فيُفرَد كل بيت عن سواهُ في وسط ارض يشتغل الفلّاح في حواشيها كما في لبنان . ومما طلبتُهُ ان يُخزن الهشيم في امكنة معتزلة تحت المراقبة

واذا حدث حريق وخُشي امتدادهُ فليبادَر فورًا واوّلًا الى قطع الهواء عن النار بتغطيتها سريعاً واحاطتها جيّدًا بنسيج ثخين صفيق كسجادة اولحاف او عباء . واذا علقت النار بالملابس فلينطرح المصاب على الارض ويلتصق بالحضيض فيطفئ النار ويلتفّ بنسيج غليظ كحرام او ساكو صفيق فيمنع الهواء ان يتّصل بالنار اذ منهُ حياتُها

امّا اذا كانت المُحرقات كيموية كالحوامض او القلويّات فليُسرَع الى غسلها ويذرّ عليها ما يمتصّها من قطن او دقيق او ورق نشّاش او محرمة . ومما يلاشي فعل الحوامض كروح الملح والحامض الكبريتي بيكربونات السودا والمانيزيا . امّا القلويّات كالقلي والنشادر والكلس فتُعالَج بالغسل والماء الممزوج بالزيت والخلّ

ومما يجب التنبيه اليهِ في الحروق السطحيّة اذا حصلت بسببها فقاعةٌ في الجلد ان

لا تُنزع تلك الفقاعة فانها افضل ترس يحمي ما تحتها من الجراثيم الخارجية وان كُشطت زادت ألم المصاب . إلّا اذا ضخمت وتُفقأ بنخسها بابرة سبق تعقيمها بعرضها على لهيب او بالاغلاء وتُحفظ البَشرة

فاذا تمّت هذه الشروط وغُسل الحرق اذا لزم بماء سخن معقم مع لفّه بقطن او شاش طاهرين فينبغي شدّ الغيار بعصابة شدًّا معتدلًا (راجع الشكلين ١ و٢)

ومن الحروق ما يكون سطحيًا ضيّق النطاق فيجوز علاجهُ بان يوضع عليه رفادات تُغطّس بمحلول حامض البكريك المُشبَع ٠٠١:٥٠٠ فهو مسكّن للالم ومطهّر ومعجل للشفاء.

ولا يُجدَّد الغيار الّا نادرًا حين اللزوم اذا غشي الجرح قيحٌ او مصل وما سرى ذلك فهو من اختصاص الحكيم

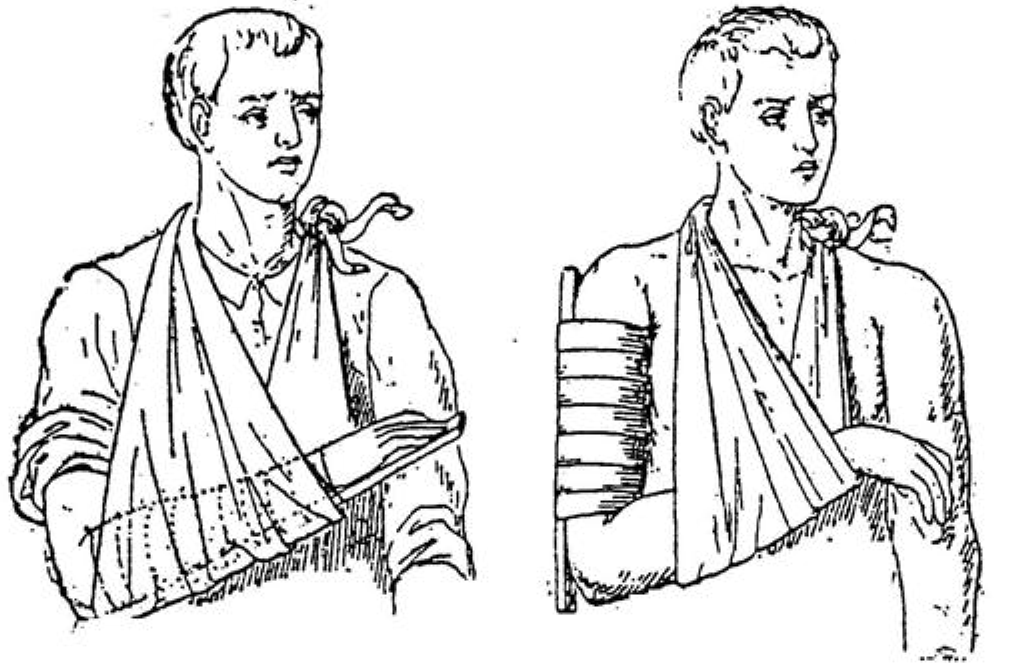
وخلاصة القول انّ للنظافة والطهارة في هذه الأحوال المقام الاعظم

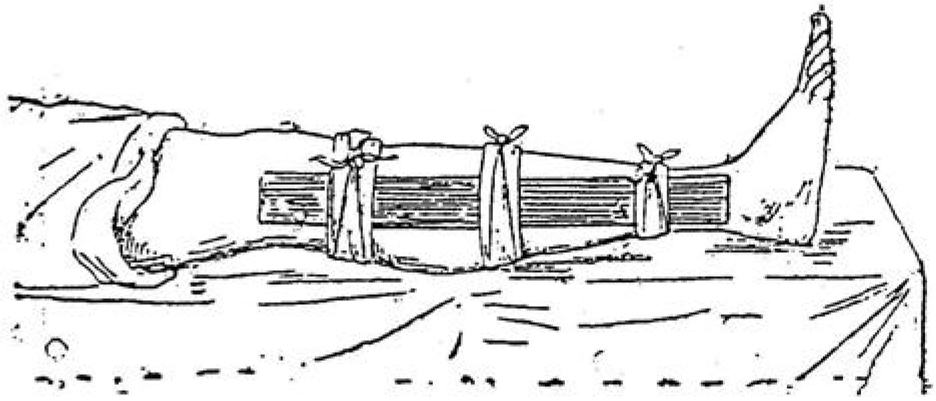
٢ كسر العظام

يستدلّ على كسر العظم عند السقوط او الصدمة بشدّة الالم وبالخصوص في نقطة الكسر وبعجز العضو عن العمل كالمشي او رفع الذراع او بظهور تشويه واعوجاج فحينذاك يجب الامتناع عن الحركة لئلا تثقب شظايا الكسر جلدَ المصاب. والكسر بذاته يسهل شفاؤهُ اذا لم ينفذ الجرح الى الخارج فتتسلّط عليه الجراثيم كما تقدّم. وليكن للقرّاء عبرةٌ وذكرى بما عملهُ الجرّاح الانكليزي برسيڤال بوت الشهير. روي انّ ساقهُ كُسرت في احد شوارع لندن في يوم من كانون قارس البرد فظلّ في مكانه لم يتزحزح راقدًا على الحضيض بهدو. انكليزي الى ان اتوه بحمّالين فأشار عليهم بان يشتروا لهُ مصراع باب لينقلوهُ عليه كسرير بعد تسمير عصيّهم في اطرافه. فحُمل على هذه الصورة الى بيته البعيد ولم يطُل زمن شفائهِ

ففي وقوع الكسر يجب العمل بالرفق والمبالغة بالعناية لمنع الالم باتقاء الاحتكاك والارتجاج ولاسيما لاجتناب ثقب الجلد فيُسنَد العضو المكسور بقُدد خشبيّة ملفوفة بالقطن او ببعض الانسجة او باكياس من النخالة او الرمل. واسهل من ذلك ان تُبل قطعة من الكرتون بالماء السخن هنيهة لتليينها فيُلَفّ بها العضو المصاب ويُربط الى ان

يصل الطبيب . (انظر الرسوم ٣ و٤ و٥)





٣ و ٤ و ٥ جبائر تسند العظام المكسورة وتضمن تثبيتها اجتناباً للألم وانثقاب الجلد

وان لم تتجاوز الصدمة درجة الصدع وجاءت الرضّة دون الكسر فتكفي الراحة وتمسيد العضو العليل برفق من الاطراف الى نحو القلب ومن تحت الى فوق بمساعدة الكمادات وافضلها اولاً الباردة ثم السخنة بعدها فهي تسكن الالم وتعجل زوال الارتشاحات والورم والبقع الدمويّة الى ان تلتئم خيوط الانسجة المتقطعة ويمحي الاثر

٣ التسمم

من شرّ ما تقع عليه العين مشهد رجل تناول سمًّا للانتحار وافجع من ذلك رؤية من تناول السمّ خطأً او اتفاقاً او بفعل جناية

والسموم مختلفة الانواع : فمنها السائل كماء الغار الكرزي ومنها الجامد كالحامض الزرنيخي سلاح الجناة الغدّارين منذ القدم الدّاسّين السمّ بالدسم ؛ ومنها غازي كالحامض الفحمي (غاز التفحيم) ؛ ومنها ما يكون كاوياً كحجر جهنم او حامضاً كحامض الكبريت ، او قلوياً كالقلي او نباتياً كبعض انواع الفطر ، او معدنياً كالسلياني ، او علاجيًّا ايضاً كالمورفين . وقد وقفنا بفضل باستور على ضرب جديد من السموم وهو اكثرها شيوعاً واشدُّها داءً اعني بهِ التسمّم الطعامي الذي اوقع مراراً الاهل والحكام في سوء الظنّ بالابرياء فحكموا عليهم جهلًا وظلماً وهاك البيان :

من الناس مَن كانوا بعد تناولهم الطعام يشعرون باعراض مَرَضيَّة يشبهُ بعضها تظاهرات الهواء الاصفر وبعضها انواع الحمّيات وكثيراً ما كانت تؤدي بصاحبها الى الموت . فكان القوم الى هذه المدَّة الاخيرة ينسبونها الى جناية او الى الزنجار او الى نباتٍ سامّ او الى حيَّة نفثت سمَّها في الطعام . الّا انَّ تلك التعليلات تحقَّق بطلانها فانَّ الزنجار اذا بلغ عياراً ساماً يجعل الطعام كريهاً فيمجُّهُ الذوق ثمَّ انَّ الزنجار يتولَّد في القدر النحاسيَّة ليس في غيرها ، وربّما كان الطعام المسمّم من غير النوع الفطري كما انَّ الحيَّة لا تنفث اصلًا سمَّها في الاطعمة . ولو اختلط بالطعام لا خوف منهُ ما لم يكن جرحٌ في المعدة

وقد ثبت اليوم للعلماء انَّ سبب تسميم تلك الاقوات من بعض انواع الطُّفَيليَّات او الجراثيم التي تتولَّد في الاطعمة في ايَّام الحرّ المساعد على نموّ تلك الحُيَيوَّيات المجهريَّة وعلى نسبة درجات الحرّ . واليها يُعزى التسمّم بالجبن الطريّ الذي لا يُرى الّا في الصيف . واكثر الاطعمة قبولًا لتلك الجراثيم البيض والالبان واللحوم والاسماك والاطعمة البائتة والمقدَّدات . ولذلك يجب مراقبتها ونفي كل ما يظهر فيهِ انتفاخ او تغيير في الشكل والمذاق او ريح كريهة . وربّما اتت الجراثيم بواسطة الادوات التي تُعَدّ بها الاطعمة وايدي الناقهين من المرض فيحصل الاختمار . ويزداد التعفُّن بفعل

الحرّ والزمان. ومن الاقوات ما يصيبها العفن ولا تفضحها رائحة ولا طعم ولا شكل مخصوص غير مألوف

ومّما يصون الاطعمة من هذه الاعراض الملح فانّ الجبن المكبوس والاسماك المملّحة بمصر لم تأتِ بضرر. وكذلك طبخ الاطعمة تقتل الدُوَيْدات والجراثيم ويُضعف سمومها

فخير المعالجة بالعاجلة اي قبل انتشار الأذى في البدن وبإخراج السم باسرع ما يمكن من الطرق الطبيعية اي بالقيء ثم بالتليين ومضادّة السمّ كيمويًا وتوقيف مفاعيله على الاعضاء. والأحرى اجتناب الاطعمة ذات الاختمار والختم ولحوم الحيوانات المريضة اي المصابة بامراض جرثوميّة او طفيليّة

والقيء ان لم تقم به الطبيعة يُثار بوضع الاصبع او ريشة دجاجة في اقصى الحلق مع دغدغته او بشرب قدح من الماء الفاتر. ويجب الاحتفاظ بموادّ القيء ليهتدي الطبيب بشكلها وريحها او لونها الى معرفتها وتحليلها كيمويًا لمناهضة فعلها. وربّما احتيج اليها ايضًا للتحقيق القضائي

أمّا اذا كان التسمّم بالكاويات كروح الملح او الحامض الكبريتي فلا يحسن الالتجاء الى التقيّؤ فيكون بمثابة إعادة الكيّ بل يُبادر الى الأضداد الكيمويّة. فالحوامض تُقاوَم بتناول القلويّات ككربونات السودا والماغنيزيا وزلال البيض ودقيق الطباشير والفحم. ويُشار بشرب الماء فانّه يخفّف في المعدة شدّة تلك الكاويات ويذهب بحدّتها وتستعمل ايضًا الملينات كالحقن فانّها تساعد على إزالة السمّ وكذلك مُدرّات البول.

وقد سكتنا هنا عن علاج السموم علاجًا كيمويًا لانهُ من الوسائل العلميّة التي لا تدركها العامّة. وانّا نقول اجمالًا انّ مرجعهُ الى تحويل السمّ الذائب الى جامد والى حالة غير سامّة. فان كان السمّ قلويًا كالكلس والنوشادر والبوطاس فيقتلونهُ بالحوامض كالخلّ. وهم غالبًا يرسّبون السمّ ويحوّلونهُ الى مادّة لا أذى منها فيقاومون نترات الفضّة (حجر جهنم) بالماء المالح ويُضادّون صبغة اليود بالنشا العادي ويعاكسون السموم المعدنيّة كالسليماني والزرنيخ بالماء المحلّل فيهِ زلال البيض او الحليب. ويحسن الاسراع الى تناول دقيق الفحم لامتصاصهِ فيما بين ذُرَيْراته اجسام السموم. وفائدتهُ

ثابتةٌ في التسمّم واضحةٌ في علاج مَن تناول الفطر والقلويّات النباتيّة كالورفين والستركنين حتى المعادن كالزرنيخ والنحاس

امّا اذا كان التسمّم بالغازات فيُسرع الى دفع المصاب الى الهواء الطلق ويُجرى لهُ التنفس الصناعيّ وان امكن ينشّق غاز الاوكسيجين

ولا بُدَّ من مداواة الاعراض الناجمة عن السموم. فان أُصيب المسموم بالبرد يُسعى الى تدفئتهِ وان ظهر ضعفٌ في قلبهِ يُنعَش بالمُغليات الحارّة من نحو الشاي والقهوة وشيء من العرق وصَفع الصدر بخرقة تُبَلّ بماء بارد او شديد الحرارة لايقاظ حركة الدم. ومن افضل مقويّات القلب إراحتهُ تماماً ببسط الجسم مستطيلاً بلا حراك وللتنفُّس الصناعي شأنٌ خطير في مثل هذه الطوارئ وسيأتي عنهُ الكلام مفصّلاً بعد كلامنا عن الغرق. (والك هناك رسومٌ للوضوح)

ولم نتعرَّض هنا للتسمّمات المزمنة كالتسمّم الكحولي واعتياد المورفين والتبغ والكوكائين والحشيش لخروجها عن بحثنا. وانّما نقتصر بالاشارة الى فضل الامساك عن كلّ ذلك مطلقاً واصلاً وتماماً ودواماً

٤ عض الحيوانات او لدغها

انَّ العض في الحالات الاعتياديّة نوعٌ من الجراح ولا يستدعي حينذاك الّا تطهيرهِ بنظافة على النحو الذي تقدّم. امّا اذا كان في لعاب الحيوان ميكروب مرضي فيجب لعلاجهِ عناية خاصّة. فعضُّ الجرذ للانسان قد يكون عنهُ مرض عفني أطلق عليهِ اليابانيّون اسم سودوكي اي داء الجرذ. سببهُ جرثومة من النوع اللولبيّ وكل منّا قد بلغهُ ما أُصيب بهِ اليونان حديثاً بموت ملكهم اسكندر الفتى اذ كان يلاعب قردةً فعضّتهُ وكانت عضّتها القاضية على حياتهِ. فسقط بموتهِ فنيزيلوس وعاد قسطنطين الى الملك وحارب اليونان الاتراك ففاز بهم مصطفى كمال فوزاً باهراً وانقلبت الحكومة الملكيّة الى جمهوريّة وزالت الخلافة منها فكان كل ذلك نتيجة تلك العضّة

واعظم خطراً من كلّ ذلك عضّة الكلاب الكَلِبة التي قبل عهدنا لم يُعرف لها دواء ناجع. وهذه سانحةٌ نغتنمها لنحذّر قومنا من الكلاب والقطط فانّ عُشرة

مثل هذه الحيوانات تعرّضنا لضروب الامراض الاليمة كالكلَب والسلّ والامراض الطفحيَّة . وهي تنقل على أقدامها الاقذار وتأوي الحشرات والطُّفيليَّات علاوةً على ما يستمدُّ صوفها بالاحتكاك بالمرضى والناقهين من انواع الجراثيم الضارَّة . لنحفظنّ الحنان والعطف للايتام واخواننا من بني الانسان

من المعلوم انَّ كل كلبٍ او قطّ يعضُّ صاحبهُ وتبدو فيهِ حركات غير مألوفة كأن يتهجّم او يعضّ بدون داعٍ فهو مشتبَه فيهِ تستدعي حالتهُ الى مزيد الحذَر . ويُشار عند ذاك ألّا يُقتَل الحيوان بل يودع في قفص للمراقبة فان كان مصاباً بالكلَب هلك من مرضهِ لا محالة قبل اليوم السادس

وعند وقوع العضّ يُعجّل الى غسل الجرح وتطهيرهِ بصبغة اليود . والاحرى كيَّهُ بالنار . ويُسرع الى المعالجة على طريقة باستور في اقرب دارٍ لذلك فانَّ السلامة اكيدة لا مشاحّة بشرط ان يُبادر الى المداواة بها . فان هي أُهملت لم ينجع دواء

ومن الحيوانات ما يلدغ كالحيَّات القصيرة غير الضخمة المعروفة بالافاعي ولدغ الحيَّات بفضل الله نادر في هذه البلاد واندر من ذلك ان يموت المصاب بلدغها . واذا لُدغ احد فليُكوَ المحلّ بالنار سريعاً وينظَّف ويُربط العضو شديداً فوق مكان اللدغ لايقاف دورة الدم وانتشار السمّ بهِ . امّا استعمال حجر السمّ المعروف ببازهر وغير ذلك من الوسائل الشائعة فالاحرى ان تضمّ الى الخرزة الزرقاء وتُلَفّ مع بعض التعويذات والخرافات التي تلتجئ اليها بعض عجائز النساء

ويوجد الآن ترياقٌ لسمّ الحيَّات عجيب وهو مَصْلٌ خاصّ يحقنون بهِ كما يحتنون لعلاج داء الخناق ويجهّزونه على طريقة واحدة اي انَّهم يعوّدون حصاناً سمّ الحيَّات تدريجاً ثم يأخذون من دمهِ المادَّة المضادَّة لذلك السمّ فيطعمون بهِ الملدوغ

ومن الحشرات والدويّبات ما هو من ذوات الإبَر او الحُمَة كالنحل والعقرب والبعوض والبرغوث والناموس فهي تلسع . فمنها ما فيهِ ضربٌ من السمّ كالعقرب ومنها ما يفتك على صغرهِ فتكَ الوحوش الضارية بما ينقلهُ من الادواء . فان البرغوث ينقل دون سواه داء الطاعون والبعوض يُلقّح بجرثومة البرداء وغيرها من الامراض التي سبق لنا وصفها . هذا فضلاً عمّا يحصل من لسعها من الانزعاج والالم كما في النحل والبرغش المعروف بالسكَّيت

ومداواة هذه اللسعات بقطرة من صبغة اليود او الكحول القويّة . والواجب ان يُعمل على اتلاف هذه الحشرات في مهدها . ولا نظنّ انّ احداً من قرّائنا يجهل ان البعوض يستفرخ في المستنقعات والمياه الآسنة وغير الجارية . فانّ الماء وهو عنصر الخصب والجمال والحياة يُصبح أداة المرض والموت اذا سكن واستنقع

(لها بقيّة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

القسم الثاني

اخبار بيروت منذ ظهور الاسلام الى القرن التاسع عشر

البحث الاول

بيروت في عهد العرب

كان تأثير الزلازل في بيروت مؤلماً فبقيت عدّة سنين طامسة المحاسن كاسدة الاسواق تُرى في انحائها آثار الخراب والحريق . على انّ ملوك الروم والباقين من اهلها لم يشاؤوا ان يهملوها ولبيروت ما لها من حُسن الموقع برّاً وبحراً ومن الخواصّ الممتازة ادباً واقتصاداً . فاخذوا في اواخر القرن السادس يهتمّون لإصلاح مبانيها وتجديد ما

دثر من ابنيتها. فما لاح نور القرن السابع حتى عادت لهــا مسحةٌ من بهائهــا السابق واستؤنفت فيها المعاملات التجاريَّة

فكان البيروتيُّون يعقدون الامل على رجوع وطنهم الى الرقيّ التام لولا ما حصل وقتئذٍ في دولة الروم من الاضطرابات في عهد ملوكهم موريقيوس (٥٨٢—٦٠٢) وفوقاس (٦٠٠—٦٠٢) وهرقــل (٦١٠—٦٤١) فانتهز ملكا الفرس كسرى انوشروان سنة (٥٧٨) ثم كسرى أبرويز (٦٠٦—٦٠٧) فغزوَا بلاد الشام وفلسطين ونهبَا وحرقا وسبيا ولم تهدأ الامور الى ان ظفر بهم هرقل الملك بعد حرب عوان (٦٢٢—٦٢٨) وعاد السلام للبلاد. وكانت فينيقية في تلك السنين اسعد حظًّا من سواهــا لعدول الفرس الى حواضر المدن في الداخلية كحلب وانطاكية ودمشق والقــدس. وكان يتولى على فينيقية من قبل ملك الروم البطريق نيقيطباس فتصرَّف بالفطنــة والحزم فنجت بهمَّتهِ سواحل الشام ومن جملتها بيروت من تلك النكبات الهائلة

على انَّ هذا السلام لم تَطُل مدَّتهُ. وما لبث العرب في عهد عمر بن الخطَّاب ان انبثُّوا في ارض حوران ثم في فلسطين ثم في الشام تحت قيادة خالد بن الوليــد وابي عبيدة بن الجرَّاح ويزيد بن ابي سفيان ففتحوا تلك البلاد وتقدَّموا الى دمشق فاستولوا عليها في ايلول سنــة ٦٣٥ وبعد واقعة اليرموك دخلوا الى نواحي سوريَّة الشماليــة وتملَّكوا على اورشليم (٦٣٧)

امَّا بيروت وسواحل الشام فقال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٢٦): «ان يزيد (بن ابي سفيان) اتى بعد فتح مدينة دمشق صيداء وعَرْقــةَ وجُبَيل وبيروت وهي سواحل وعلى مقدَّمتهِ اخوهُ معاوية ففتحها فتحاً يسيرًا وجلا كثيرًا من اهلها. ثمَّ انَّ الروم عــادوا فغلبوا على بعض هــذه السواحل في آخر خلافة عُمر بن الخطَّاب واوَّل خلافة عثمان بن عفَّان فقصدهم معاوية ففتحها ثمَّ رمَّها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع». امَّا الواقدي فروى في كتابهِ فتوح الشام (طبعة مصر ٢: ٥٢) عند ذكره فتح مصر على يد عمرو بن العاص انَّ عمرًا دخل القيساريَّة يوم الاربعاء في العشر الاوَّل من رجب سنة ١٩ للهجرة (٦٤٠م) ووصل الخبر الى الرملة وعكة وعسقلان ونابلس وطبريَّة فعقدوا كلهم صلحاً مع المسلمين وكذلك اهل بيروت وجبة واللاذقيــة وملَّكَ الله الشام للمسلمين»

وقسّم العرب بلاد الشام الى خمسة أجناد كالعمالات والسناجق وهي دمشق وحمص وقنسرين والاردن وفلسطين وقسموا كل جند الى كُوَر. وكانت بيروت كورة منوطة بجُند دمشق

وبقي معظم اهل بيروت مدّةً طويلةً كاهل المدن الساحليّة من النصارى الوطنيين بينهم بقايا من الروم. فاراد معاوية ان يحصّن المدينة في وجه الاعداء. فاستدعى قوماً من الفرس ليستوطنوا تلك المدن. ولنا شاهد على الامر في ما كتبهُ الجغرافي العربي اليعقوبي في كتاب البلدان قال (ص ٣٢٠ من طبعة ليدن) يذكر جُند دمشق: «ولجند دمشق من الكوَر على الساحل كورة عَرْقة... فيها قوم من الفُرس... ومدينة أطرابُلُس واهلها قوم من الفرس.. وجُبيل وبيروت وصيداء. واهل هذه الكُوَر كلّها قومٌ من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان». ولا شكّ ان المتاولة الشيعيّين والنصيريين الذين في سواحل الشام حتى يومنا من ذرّيّة هؤلاء الفرس

وقال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٢٣): «ثمّ صار المسلمون يتكاثرون فيها (اي في بيروت) والروم يقلّون منها وقتاً بعد وقت حتى صار اكثر اهلها مسلمين»

وليس لنا من اخبار بيروت في ايّام الدولة العباسيّة الّا النزر القليل نرويه هنا كما وجدناهُ في تواريخ العرب وفي اسفار رحّالهم واوصافهم للبلدان. فمن ذلك ما رواهُ ابو جعفر الطبري في ذيل المذيّل في تاريخ الصحابة والتابعين (الجزء الثالث ص ٢٥١٤) عن الاوزاعي قال: «هو عبد الرحمان بن عمرو ويكنّى ابا عمرو قيل له الاوزاعي لانتسابه الى الأوزاع وهو بطن من همْدان وكان يسكن بيروت ساحل من سواحل الشام وكان في زمانه احد مفتي تلك الناحية ومحدّثيهم وذوي الفضل منهم وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ (٧٧٣ م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة». وزاد صالح ابن يحيى افادةً في تاريخ بيروت فقال عنه (ص ٢٣-٢٤): «الاوزاعي هو امام اهل الشام وعالمهم قيل انه اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعمل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة... وكان عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من امر السلطان... وكان مولدهُ ببعلبك سنة ٨٨ هجرية ٧٠٧ مسيحية) وقيل ٩٣ هجرية (٧١٢ م). ومنشأه بالبقاع ونقلتْهُ أمّهُ الى بيروت فرابط بها الى ان مات»

وقبره على ما افاد ابو الفداء في تاريخ سنة وفاته (ج٢ ص٧) في قرية على باب بيروت يقال لها خنتوس (ويروى حنترش) وهو في عهدنا مزار بخارج المدينة جنوبيها الغربي. ويقول علماء المسلمين انه كان يدرّس في الزاوية المعروفة باسمه حتى الآن جنوبي السوق الطويلة وهناك سبيل أُنشئ سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٨م) تذكارًا له

ثم ذكر صالح ابن يحيي ابنه محمد ولد الاوزاعي قال: «انهُ كان عابدًا قانتاً وكان يُظَنّ فيهِ انهُ من الأبدال(١ عاش بعد ابيهِ عشرين سنة». وألحق بالاوزاعي وبابنهِ بعض الزهاد الذين عبدوا الله في بيروت او امتازوا بعلومهم الدينيَّة. كالوليد بن مَزْيَد العُذْري المولود سنة ١٢٦هـ (٧٤٤م) المتوفى سنة ٢٠٣هـ (٨١٨م) وكابي الفضل العباس ابن الوليد البيروتي المولود سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) والمتوفي سنة ٢٧٠هـ (٨٨٣م) وكابي مُسْهر البيروتي وعبد الله بن اسماعيل البيروتي ومحمَّد بن عبد الله البيروتي المعروف بمكحول الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٢١هـ (٩٣٣م)

وفي اواسط القرن الرابع للهجرة ذكر الاصطخري بيروت في كتابه مسالك الممالك (ص٦٥ من طبعة ليدن) بقوله: «بيروت مدينة على شطّ بحر الروم خصبة (ويروى حصينة) من عمل دمشق بها كان مقام الاوزاعي»

واتَّسع معاصرهُ ابن حوقل في وصف بيروت في كتابهِ المسالك والممالك. واحسن في تعريف بعض خواصها وطباع اهلها قال (ص١١٦): «بيروت على ساحل بحر الروم... وبها يُرابط اهل دمشق وسائر جندها واليها ينفرون عند استنفارهم وليسوا كاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغِلْظة الطباع وفيهم من اذا دُعي الى الخير اجاب واذا ايقظهُ الداعي اناب. وببيروت هذه كان مقام الاوزاعي وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلّات متوفرة. وتجارات البحر عليها دائرة وسابلتها غير منقطعة. حصينة خصيبة متينة السور رخيصة الاسعار جيّدة الاهل مع منعة فيهم من عدوّهم وصلاح في عامّة امورهم». فنِعْم الوصف ويحق بهِ للموصوفين الافتخار ومنهُ يلوح انَّ بيروت اصبحت في القرن العاشر للمسيح من أُمهات المدن

واجتاز في بيروت رحَّالة عجميّ اسمهُ ناصر خسرو العلوي سنة ١٠٤٧ للمسيح فقال عنها في كتاب رحلته سفرنامه (ص١٣) ما تعريبهُ: «وسرنا من جُبيل الى بيروت

١) اطلب مقالة في واسمة الأبدال في المشرق (١٢ [١٩٠٩]: ١٩٦-٢٠٤)

حيث رأيت قنطرة من حجر تمدّ الطريق فوقها فقدّرتُ انّ علوّهـا خمـون كزًّا(١
وجانبا القنطرة مبنيّان بحجارة بيضاء ضخمة ثقل الحجر نحو الف منّ(٢ وعن يمين القنطرة
وشمالها اسطوانتان من الآجرّ علوّهما عشرون كزًّا . وفوق الاسطوانتين عمودان من
الرخام علوّ العامود ثمانية اكزاز لا يكاد رجلان ان يُلفّا على العامود ذراعيها الضخمة .
وكانوا بنَوا على هذين العامودين قناطر من الحجارة الكبيرة دون ملاط ولا كلس .
والقنطرة الكبيرة هي في وسط هذه القناطر وهي تعلو فوقها نحو خمسين آرشًا (٣
وعلى ما اظنّ يبلغ علو كل حجر من تلك القنطرة سبعة آرش في عرض اربعة منـهُ
وثقلهُ نحو سبعة آلاف منّ . وكل هذه الحجارة منقوشة بنقوش غاية في الدقّة واللطف
قلّما يُرى مثلها في المصنوعات الخشبية . ولم أرَ في جدار هذه البناية بناء آخر غيرها .
وكان جواب الذين سألتهم عن خبر هذه القناطر انها عريقة في القـدم وتُدعى باب
بستان فرعون . والسهل الذي يحيط بهذا الاثر فيه عدد لا يُحصى من الاعمدة ورؤوس
الاكلّة من الرخام المنقوش بعضها مربّعة وغيرها مسدّسة او مثمنـة الزوايا . والحجر
غاية في الصلابة لا يعمل فيهِ الحديد . وليس في جوار المكان مقلع يُستدلّ منه على
انهم استخرجوهُ منهُ

«وهناك حجر آخر . انه كان مركّبًا تركيبًا صناعيًا لا يؤثر فيه ايضًا الحديد .
وفي بلاد الشام ترى السوارى والاعمدة ورؤوس الاكلّة ملقاةً في كل مكان وعددها
ينيف على ٥٠٠،٠٠٠ قطعة لا يعلم احدٌ ماذا ارادوا من جمعها ولا من اين اتوا بها»

فمن وصف ناصر خسروا السابق ترى انّ الابنيـة العديدة التي كان الرومـان
والهيرودسيون الثالثة بنوها في بيروت وجيرتها لم تُطمس آثارها بعدُ وإن خفي عنهم
الغرض من وضعها امّا القناطر التي ذكرها فلم نتحقق اين كان موقعها افوق نهر ابرهيم
ام نهر الكلب ام نهر بيروت

هذا مُجمَل ما ورد عن وصف بيروت في عهد الخلافتين الامويّة والعباسيّة . امـا
اخبارها السياسيّة فهي دون ذلك . وانـما زعم البعض انّهم وجدوا عنـد الامراء
الارسلانيين كتاباتٍ تُروى فيها مآثر لاجدادهم منها انّ جدّهم الاعلى الذي ينتمون

١) كان يساوي الكزّ عند العجم مترًا و ٢٥ سنتمترًا
٢) كان وزن المنّ كرطلنا السوري تقريبًا ٣) الآرش كالذراع

اليهِ الامير ارسلان بن مالك اللخمي جرت لهُ مواقع عديدة مع المَرَدَة الذين وكّل اليهم ملوك الروم حراسة لبنان وانهُ توفي في سن الفيل سنة ١٧١ه (٧٨٧م)

وكذلك رووا عنهم قدوم مراكب الروم الى بيروت سنة ١٨٥ ه (٨٠١ م) فغزوا ساحلها واستأسروا عند مقام الاوزاعي اميرًا من الارسلانيين اسمهُ عُمر ابن الامير ارسلان. وبقي عندهم حتى فداهُ بعد ثلاث سنوات القاسم ابن هارون الرشيد

ورووا ايضاً ان الامير النعمان بن عامر الارسلاني تولى بيروت وصيدا وجبلها بامر ماجور التركي سنة ٢٥٧ه(٨٧٢م) فبنى في بيروت دارًا عظيمة وحصّن صور المدينة وقلعتها ثم حارب مَرَدَة لبنان فجرى بينهُ وبينهم قتال عظيم على نهر بيروت سنة ٨٧٥ في خلافة المتوكل العباسي. ويقال هناك انَّ هـذا الامير ردَّ هجمة الفرنج سنة ٣٠٣ه (٩١٥م) وكانوا نزلوا من سفنهم في رأس بيروت فسار اليهم واسر منهم ثمانية رجال وقتل ستَّة ثم فاداهم على من اسروهُ من المسلمين . وفيها ايضاً ان احمد ابن محمَّد بن ابي يعقوب ابن هارون الرشيد مرَّ مع اسرتهِ في بيروت فاستقبلهُ الامير نعمان المذكور وخطب ابنتهُ السيدة كلثوم لابنهِ الامير منذر فزفها اليهِ . وكانت وفاة الامير نعمان سنة ٣٢٥ه (٩٣٦ م) وعمره ٩٨ سنة توفي في بيروت وبها دُفن ثم خلفهُ في ولايتهِ ابنهُ المنذر ولُقب سيف الدولة

هذه المنقولات وردت في اوراق مصونة كما يقال عند الامراء بني رسلان ولم يمكنّا ان نتثبّت صحّتها بعرضها على غيرها من التواريخ فرويناها على علّاتها. وما هو اثبت ركناً واقوى سندًا انَّ بيروت دخلت مع بقية بلاد الشام في حكم دولة بني طولون المصريَّة سنة ٢٦٤ه (٨٧٧م) ثم خلفت الطولونيين دولةُ الاخشيديين سنة ٣٢٣ ه (٩٣٥م) فاستولت على دمشق وجندها مدة بضع سنوات

وفي عهد الدولة الاخشيدية غزا الروم بلاد الشام وكان ملكهم يوحنا زيمسكيس (Jean Zimiscès) الذي يدعوه العرب بالشمشقيق فاخذ دمشق بالامان وسار الى سواحل الشام فنزل على صيداء وانصرف عنها على سِلْم وموادعة. قال ابن القلانسي في تاريخهِ المعروف بذيل تاريخ دمشق (ص١٤) : «ثم انتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهلهُ عليهِ فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبهُ وسبي السبي الكثير منه» . وكان ذلك سنة ٣٦٤ه(٩٧٤م). وبعد سنتين استرجعها جوهر القائد وولّى عليها هفتكينُ التركي

صاحب دمشق الامير درويش بن عمر الارسلاني ثم عزلهُ منجوتكين خلف هفتكين وولّى مكانه الامير منصور

ثم انقلب الدهر على الدولة الاخشيديّة وصار الامر لدولة الفاطميين وبعد ان فتحوا مصر ارسلوا جيوشهم الى الشام فملكوها سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤ م) ولحقت بها سواحل الشام وفي جملتها بيروت. فصار الخلفاء الفاطميون يجعلون عليها عُمّالهم ففي السنة ٤٠٥هـ(١٠١٤م) تولى على بيروت فتح احد غلمان صاحب حلب ابي نصر لؤلؤ من قبل الحاكم بامر الله وتلقّب مبارك الدولة وسَعدها

واقطعهُ الحاكم بأمر الله مع بيروت صور وصيداء. قال صالح بن يحيى (ص ٢٦) وكان ارتفاع الثلاثة اماكن المذكورة ثلثمائة الف دينار». وهذا دليل واضح على خصب بيروت وحسن تجارتها في ذلك الوقت

وفي السنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣ م) ولي عليها ابو سعيد قابوس من قبل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي وفي السنة ٤٤٨هـ(١٠٥٦م)اقطع المستنصر بالله عكّة وبيروت وجبيل لعزّ الدولة ابن مرداس صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ. لكنْ اقارب ابن مرداس استرجعوا بعد مدّة حلب فاستعاد المستنصر المدنَ الثلاث. قال صالح ابن يحيى: «وكان الذي يقوى على دمشق يملك السواحل»

امّا احوال النصرانيّة في بيروت في ايّام دولتي العرب الامويّة والعبّاسيّة فلا نكاد نعرف منها شيئاً. وانّما يذكر التاريخ من اساقفتها في تلك الحقبة المسمّى توما من اساقفة الروم المتحدين مع الكرسي الروماني كان في القرن التاسع للمسيح على عهد فوطيوس حضر المجمع الثامن المسكوني الذي اجتمع في القسطنطينيّة سنة ٨٦٩ وحكم على هذا البطريرك لجلوسهِ على الكرسي القسطنطيني بعد حكمهِ ظلماً على القديس اغناطيوس البطريرك الشرعي. وممّن وقّعوا على اعمال المجمع «توما اسقف بيروت» ثم نُقل توما المذكور الى رئاسة اساقفة صور وفي المجمع يقال انهُ كان نائباً عن رئيس اساقفة انطاكية لخلوّ هذا الكرسي وقتئذٍ من صاحبهِ

وقد اشتهر على عهد العرب في الكنيسة اليونانيّة احد ابناء بيروت وهو الشمّاس رومانوس المرتّل كان معاصراً للقديسين يوحنّا الدمشقي واندراوس الكريطشي واشتهر مثلهما بتأليف التسابيح التقويّة بالشعر اليوناني كان مولدهُ في بيروت وخدم كنيستها

برتبة شماس ثم انتقل الى القسطنطينية وفيها صنف تراتيلهُ الكنسية الفصيحة البليغة الدالّة على جودة قريحته وعظم تقاه (لها بقية)

السونة حشرة الغلاّت في البقاع

نظر علمي ادبي لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعي

ظهرت هذه الحشرة المفسدة في اوائل الصيف فانتشرت بسرعة في انحاء البقاع فعاثت في مزارعها وكادت تذهب بكافة اتعاب الفلاح وتعدمهُ معاشهُ بفتكها بغلّاته. فسألنا البعض ان نذكر على صفائح المشرق ما يُعرف من امرها

﴿اسمها ووصفها﴾ اسم «السونة» بالعربيَّة لا ذكر لهُ في المعاجم وانما هو شائع بين الزرَّاعين. ولعلَّ اصل الكلمة سرياني (ܫܘܢܝܐ) اي الانقلاب والتبدُّل دلالةً على تطوُّرات هذه الحشرة. امَّا علماء النبات الاوربيون فيدعونها Eurygaster «Maurus» فالاسم الاوَّل مركَّب من كلمتين يونانيَّتين معناهما «الواسعة البطن» لهيئة بطنها والاسم الثاني علَم الرجل الذي ميَّز جنسها فنُسبت اليهِ. وهذه الحشرة من فصيلة الحشرات الكبرى المعروفة بالنصف جناحيَّة (hémiptères.) وفي فصيلتها تدخل الفسافس (البقّ) باشكالها سواء كانت مجنّحة او غير مجنّحة كالبقّ الاهلي. والسونة من النوع المجهَّز بترس وترسها هذا يتألف من صفيحة درقيَّة الشكل تغطّي صدرها وتمتدّ الى بطنها فتسترهُ امَّا جزئيًّا وامَّا تامًّا

وللسونة اذا بلغت كمالها اربعةُ اجنحة كسائر الحشرات النصف جناحيَّة. وهذه الاجنحة عند سكونها مطويَّة فوق بطنها ويغطّيها الترس الذي مرَّ ذكرهُ لا يبين منها سوى طرفها المستدقّ الملوَّن ويبقى معظمها مغطًّى بالترس وهذه الاجنحة تتركَّب من مادَّة شفَّافة لا يكاد النظر يفرزها لعدَم لونها اذا ما بسطتها الحشرة. والجنس الذي نحن بصدده يغطي الترسُ سائر بطنهِ حتى انهُ لاوَّل وهلة يظهر كانهُ قسمٌ منهُ ولونهُ اصفر ضارب الى الرمدة تقاطعهُ بعض خطوط اشدّ نصوعاً لكنها قليلة البروز. وعند اسفل الترس المذكور في نقطة اتصالهِ بالصدر نُكتتان تختلفان صفاء في افراد الجنس

﴿اصناف الحشرة واخلاقها﴾ وهذهِ الحشرة التي ظهرت في البقاع تشبه تقريباً

النوع الشائع في كل اوربة. والنباتيون يقولون في تعريفها أنها تسكن في الاعشاب الواطئة وتمتص مائيتها ولاسيما الحبوب فانها تفتك بها وتتلفها

وللحشرة السونة اطوار مختلفة كسائر الحشرات ولا ينبت لها جناح الّا عند بلوغها في آخر اطوار حياتها. وهي تؤذي الغلات في حالتها الدودية كما تفسدها في بلوغها لا بل يزيد أذاها وهي دودة كمعظم اجناس الحشرات لنهمها في تلك الحالة. ألا ترى مثلاً الفراشة فانها في بلوغها في حالة الطيران لا تكاد تتناول غذاء على خلاف حالتها الدودية فانها وقتئذٍ كثيرة النهم. ومثلها دودة القز وزحاف الجراد

﴿سبب نموّ هذه الحشرات﴾ انّ هذه الحشرات الضارّة لا يكاد يُذكر لها فساد في سنين كثيرة وتراها على خلاف ذلك تنمو وتزداد في بعض السنين حتى تصبح آفةً مُجحفة كما ترى في الجراد. فبحث العلماء عن ذلك ونسبوا الامر الى احوال خاصّة في الجوّ لم يتبين حتى اليوم سببها ونوع تأثيرها وهم لا يزالون يدرسون الامر ليقفوا تماماً على عللهِ

وننقل هنا بعض معلومات اخرى رواها مكاتب البشير (في العدد ٣٣٤٤) عن السيد روفانيل حلّاج مفتّش الحشرات والامراض الزراعيّة في دول الانتداب الفرنسي قال في وصف السونة: «هي حشرة من نوع البق طولها سنتيمتر ونصف وعلى ظهرها بيت كبيت السلحفاة نحاسي اللون. وهي تختبئ في الشتاء في الاراضي المفلوحة وفي اوائل الربيع عند نبت الحنطة والشعير تصعد اليها وحدها لتغتذي بعضها وبعد ثلثة اسابيع تبيض على الاوراق ثلث دفعات متتابعة وكل مرّة ١٦ بيضة بيضاء صغيرة كرأس الدبّوس. وبعد ١٥ يوماً يفقس البيض ببينة ولون البرغوث وتمتصّ الحشرة النبات الى ان يسيل فتقف عليه ورأسها الى اسفل ولا تزال تمتصّ حليبهُ الطريّ الى ان تُهلك الحقل كلّه بظرف ٢٤ ساعة. وكانت ظهرت من نحو عشرين سنة في شمالي حماة ومعرّة النعمان الّا انّ ضررها لم يلفت الانظار الّا في العام الماضي ١٩٢٤ حيث فتكت بغلال ٧٥ قرية وأبادتها كلّها وتقدّر الخسارة بـ ١٨٤ الفاً ذهباً واحدثت في هذه السنة خسائر فادحة في مزروعات البقاع»

﴿مكافحة السونة﴾ أما مكافحة هذه الآفة فعرض السيد وجيه الجزّار مفتّش الزراعة في حكومة سوريّة بعض التدابير لاتقاء اضرار تلك الحشرة (البشير

عدد ٣٣٥٣) منها الامتناع مدَّة سنتين او ثلاث سنين عن زرع الحنطة والشعير في الاراضي الموبوءة واستبدال زرعها بمزروعات غيرهما كانواع القطانيّ من عدس وفول وحمّص الخ بعد حرث الاراضي واحراق اعشابها الباقية بعد الحصاد

ومنها ان تخصَّص اراضي السقي لزراعة الحنطة والحبوب وتعميم زراعة الحنطة المعروفة بالبَدْريّة التي تنضج سريعاً. ومنها جنس يُزرع في ولاية آطنة وضواحيها يسمَّى «قوندوز بغداي» تنتج مع الشعير او قبلهُ وقد عُمّم هناك زرعُها تلافياً لغائلة الجراد لبلوغها قبل ظهور الزحّاف ويمكن زرعها على هذه الصورة دفعاً لحشرة السونة ايضاً. وكذلك يحسن أن تُعمَّم زراعة الشعير الصلب

ومنها تغيير البذار وغربلتهُ وغسله قبل زرعه بليلةٍ واحدة بمحلول الزنجار والكلس والقطران بنسبة واحد او واحد ونصف بالمئة

ومنها ايضاً تعميم استعمال الاسمدة من الفوسفات الكلسيَّة مع الرماد ومسحوق العظام في الاراضي المراد زرعها حنطة وذلك في بدء موسم الزرع او في اثناء الحراثة. ويُسرَع في البذار حال وقوع المطر او قبلهُ كي تبلغ السنبلة وتُحصَد قبل ظهور الحشرة

وممَّا اخبرنا مكاتبنا عن نجاة مزروعات تعنايل من آفة السونة انَّ سرباً من الكراكي حطَّ هناك وبقيَت في ارضها آمنةً مدَّة طويلة فكافحت حشرة السونة وكادت تبيدها تماماً وبفضلها زكت الحنطة بغلالها

مطبوعات شرقيّة جديدة

P. Thomson: Die neueren Forschungen in Palaestina—Syrien. Sammlung gemeinverständlicher Vorträge, n° 114. *in*-8° 1925, *J. C. Mohr H. Lauppsche Buchhandlung. Tübingen, Prix* 1 *M.* 20

آثار جديدة في فلسطين وسوريّة

هذه محاضرة نفيسة جمع فيها الدكتور طومسن ما وُجد من الآثار المنوطة بالاسفار المقدَّسة في زمن الحرب الكونيَّة وبعدها وقد راجع لذلك جميع ما نشرهُ العلماء في هذا الصدد ممَّا يكشف الحجاب عن بعض مشاكل التاريخ في اصول

النصرانيّة . وقد تُغني في مطاوي الكلام لو أدخل ارباب المدارس في تعليمهم الديني خلاصة تلك الاكتشافات الاثريّة . وهذا على رأينا ممّا لا يتمّ فعلًا لان تلك الآثار قابلة لتفاسير مختلفة كثيرًا ما يشطّ في معناها الصحيح علماء العصر وقد بيّن الكاتب شيئاً من اوهامهم في هذا المعنى لِما كتبوهُ عن بعض الآثار المكتشفة في اورشليم وفي مناجم طور سينا فجاءَت شروحهم مخالفة لاخبار الكتب المقدّسة وظهر بُطلانها بعد حين الاب رينه موترد

S. Ferri: Contributi di Cirene alla Storia della religione greca. *Collezione* ΓΡΑΦΗ, 4° 2, *1 vol, in-12, Roma Libraria di Cultura*, 1923

آثار قيرينية لمعرفة احوال الدين اليوناني

هذه نتيجة الابحاث الاثريّة التي باشرها علماء ايطالية في قيرينية احدى المدن العامرة الواقعة في طرابلس الغرب بين الاسكندريّة وقرطجنة . فالآثار التي وجدوها تدلّ على ما نقلهُ اليها المستعمرون اليونان في القرن السابع قبل المسيح من جزيرة ثيرة (Théra) . امّا ما زعمهُ البعض من ان قيرينة دُعيت بهذا الاسم تذكارًا للالهة قيرينة فلم يثبت بتلك الحفريّات اللهمّ إلّا تقدمة قُدّمت لإكرامها تاريخها حديث العهد . أمّا معبودة قيرينة الكبيرة فانّما هي ارتاميس كما اظهرتهُ الحفريّات الجديدة . ومن الآثار المكتشفة هناك بين صخور عين حُفرة هيكل على ذكر الاله زفس اي جوبيتر (Zeus Meilichiós) ويشركهُ في عبادتهِ مشاهير الموتى . أمّا الاله المذكور فهو على رأي المسيو فِرّي إلهٌ ساميّ يُدعى بالملك . لكنّ اشتراك ارواح الموتى بعبادة هذا الاله هو من الغرائب التي لم يسبق لها اثرٌ معروف ر م

Le Droit Franc en Syrie pendant les Croisades. Institutions judiciaires, par **Dimitry Hayek**. 1 vol. Paris, 1925. Edit. Spes, Prix 20 f^{s}

الشرع الفرنسوي في سوريّة في عهد الصليبيين

لمّا احتلّ الصليبيّون بلاد الشام في القرون الوسطى وجّهوا حالًا نظرهم الى تدبير الامور الشرعيّة والرسومات القضائيّة . وقد بقي لنا تآليف واسعة من اعمالهم واحكامهم فأحبّ وطنيّنا الهمام دمتري افندي الحائك لنيل شهادة الملفنة في الحقوق في باريس ان يتّخذ هذا الموضوع الوطني . فراجع ما كتبهُ في ذلك قدماء الفقهاء واستخرج من تآليفهم لائحة مدقّقة جامعة لتلك الاحكام الشرعيّة وبيّن ما فيها من

روح الشرع الفرنساويّ الشائع في مملكة فرنسة وكيف طبّقوا تلك الشرائع على احوال البلاد فنفّذوها بحسن معاملاتهم ولطف تدبيرهم. فكان لهذا التأليف احسن موقع لدى اللجنة الفاحصة فأثنت على وطنيّنا اطيب الثناء. وقد اراد السيد بودريليار من الاكادمية الفرنسويّة ان يصدّر الكتاب بمقدّمة اوضح فيها ما للمؤلف من الفضل في تأليفهِ لفظاً ومعنى. ونحن نضمّ صوتنا الى المهنّئين ونُسرّ بما نالهُ من الامتياز بهذا العمل الجليل ل. ش

Alfred Guillaume: The Traditions of Islam, an introduction to the Study of the Hadith Literature. 1 *vol. in*-8°, *Oxford, Clarendon Press*

مقدّمة على درس الحديث في الاسلام

قد سرّحنا النظر بلذّة في هذا الكتاب الذي جعلهُ صاحبهُ كمقدّمة على ما ينويهِ من درس الحديث في الاسلام. فهو يبحث اوّلاً عن اصل الحديث واطوارهِ في عهد بني اميّة وبني عبّاس ويذكر المجاميع المعروفة في ذلك كصحيح البخاري وصحيح مسلم الخ. ثمّ يذكر موقف المسلمين تجاه الحديث ومصطلحاتهم في تعريف صحّتهِ وضعفهِ ووضعهِ. وقد خصّ فصلاً روى فيهِ كثيراً من الاحاديث الاسلاميّة وافرد فصلاً آخر ذكر فيهِ ما استعاروهُ من المصادر النصرانيّة. وفي فصل ثالث ما يتضمّنهُ الحديث عن نبيّ الاسلام. وقد وجدنا بالاجمال انّ المؤلف اجاد في ما كتب وحاول صدق الرواية طاقةَ جهد الاب هنري لامنس

Astronomy and Astronomers, by Exarch John Haddad. 1 *vol. in*-8°, *Chicago Illinois*, 1924, *pp.* [illegible], *Prix* 2 *Dollars*

علم الفلك والفلكيون

انّ وطنيّنا حضرة الاكسرخوس حنّا حدّاد منذ اختلط بالاميركيين كعمّهِ الشهير الجنرال ميخائيل حدّاد احبّ ان يجاريهم في علومهم وآدابهم. وها هوذا اثر جديد من مساعيهِ الطيّبة جمع فيهِ خلاصة ما يعرفهُ اليوم الفلكيّون من المعارف الفلكيّة وعلم الهيئة بعد ذكره تاريخ تلك العلوم في القرون السالفة بين قدماء الشعوب. وقد اورد اسماء كبار الفلكيين والمعاهد الفلكيّة في انحاء العالم ولم يَفُتْهُ ذكر مرصدنا الحديث في كسارا. واضاف الى كتابهِ معلومات اخرى عديدة كأطوال البلاد واعراضها والمسافات بين انحاء الاصقاع ومدنها والتوافق بين ازمنتها. وقد قدّم عملهُ

هذا لصاحب السعادة الجنرال ع. ه الذي ترى صورته في صدر الكتاب مع صورة حضرة الاكسرخوس . فنحض العارفين بالانكليزية ان يستفيدوا من هذا الكتاب الجليل
ل . ش

Espinas (Alfred): Etudes sur la Philosophie de l'action — Descartes et la morale. 2 *vol. in - 8°.* 1925. *Paris, Ed. Bossard. Prix 24 f^s les deux*

دروس في فلسفة ديكرت من حيث الادب

توفي مؤلف هذه الدروس سنة ١٩٢٢ قبل ان ينجز كتابهُ ويعيد النظر فيهِ وكانت غايتهُ ان يبيّن تأثير الفلسفة في عمل البشر . وخصَّ بدرسهِ الفيلسوف الفرنسوي ديكرت لشهرتهِ وزعم انّهُ اخذ عن اليونان وخصوصاً عن افلاطون آراءهُ في آداب المجتمع البشري وانهُ مهّد في ذلك الطريق لجان جاك روسو في كتابهِ التعاهد الاجتماعي . ونحن نشكُّ في ما ينسبهُ الى ديكرت دون دليل ثابت . لا بل نراه مخطئاً في تحامُلهِ على فلاسفة القرون الوسطى وعلى كبار اللاهوتيين كالقديس اوغسطينوس والقديس توما اللاهوتي ومشاهير اليسوعيين اساتذة ديكرت . وكذلك اساء المقابلة بين تعاليم افلاطون والافلاطونيين وبين تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والفروق بينهما متعدّدة بل هما في اشياء كثيرة على طرفي نقيض . وفي اقوال المؤلف ابهامٌ كثير لرُبّما كان ازالهُ لو امدَّهُ الله بحياتهِ
ج . ل

Godard (André): La Piété antique. 1 *vol. in*-16,1925, *Paris,Perrin, Prix* 8 *f^s*

التقى في الامم القديمة

لم تخلُ الامم السابقة لعهد المسيح من الدين وانّما دينها كان مبنيًّا على ما ورثتهُ بالتقليد من الوحي الاوَّل طبقاً لنظر العقل المصيب او على ما اخترعتهُ من الخرافات بتأليه قوى الطبيعة من جمادات او حيوانات او أبطال البشر . فزعم المؤلف انَّ هذه العواطف الدينيّة سواءٌ كانت صحيحة او باطلة أدّت باصحابها الى التقى والعبادة الباطنة . فراجعنا كتابهُ لعلّنا نرى ادلّة مقنعة على قولهِ هذا فلم نجد سوى الاوصاف لتلك الديانات التي كنّا نعرفها بما نقلهُ عنها المؤرخون وتنطق بهِ الآثار الباقية . أمّا التقى الخالصة والعبادة القلبيّة الباطنة كما نراهما في الدين المسيحي فانَّ المؤلف لم يكد يأتي بدليل عليها . ومن ثمَّ رأينا اسم الكتاب لا يوافق مضامينهُ
ج . ل

Warrington Dawson: Le sacrifice de Paul Clermont. 1 *vol. in*-16, 1925, *Paris, Librairie académique, Perrin et* C^ie^, *Prix* 8 f^s^

تضحية النفس في سبيل الواجب

مؤلف هذا الكتاب ليس فرنسويًا وانمّا أُعجب بما رآهُ في الفرنسويين من الشهامة والإقدام في الحرب الكونيَّة فبنى على ذلك روايةً خيالية جعل بطلها شابًا دعاءُ بول كلرمون وصف اخلاقهُ الغريزيَّة التي لدى احتكاكها بالحوادث الطارئة على وطنهِ تعززت وتسامت حتَّى بلغت بصاحبها الى اقصى حدود التفاني في سبيل الوطن والخير العام والقيام بالواجب. وقد اثنى على الكاتب وطنيُّهُ جوزف كونراد الروائي الشهير فقال: «انَّ كتابك هذا قد اثبت صدق حبّك لفرنسة»

Poizat (Alfred): Pour l'Humanisme, 2^e^ *vol., in*-16. *s.d.. Paris, Ed. Spes, Prix* 8 f^s^

لخدمة الادبيات المتحدثة

هو الجزء الثاني من الكتاب الذي ذكرناهُ حديثًا في المشرق (ص ٣٩٤) جمع فيهِ مؤلفهُ ما كتبهُ في الجرائد والمجلات من تراجم بعض المحدثين. ففي هذا القسم تراجم اناطول فرنس وبول مورل وهنري بريمون وغيرهم ممَّن اشتهروا فاعتبروهم كاركان النهضة الادبيَّة الحديثة. وقد قلنا سابقًا أنَّنا لا نوافق الكاتب على كثير من آرائهِ المتطرّفة ج. ل.

Abul ʿAmaithal al-Aʿrâbi: Kitâb al-Maʾthur, herausgegeben von. **F. Krenkow**, London, 1925, Probsthain

الكتاب المأثور عن ابي العَمَيْثل الاعرابي

ابو العميثل احد كبار اللغويين في القرن الثالث للهجرة لهُ عدَّة مصنفات سلم منها «كتاب المأثور» الذي وُجدت منهُ نسخة في مكتبة السلطان بايزيد في الاستانة فاستحضر منها صورة فوتغرافيَّة صديقُنا المستشرق فرتس كرنكوف واعدَّها للطبع وذيَّلها بالحواشي والحقها بالفهارس على مثال المدقّقين المحقّقين ثمَّ سلَّمها لمطبعتنا الكاثوليكية فطُبعت طبعًا متقنًا وشفعتها بصورة صفحتين عن الاصل المخطوط. وهذا المأثور عبارة عن ٢٨٠ لفظة ذات معانٍ لغويَّة مختلفة يفسّرها ابو العميثل ويضرب عليها امثالًا من الشعراء وغيرهم. فهو اذن احد اركان اللغة الاصلية التي منها استمدَّ اصحاب المعاجم. فنشكر همَّة المسيو كرنكوف لنشره هذا الاثر الفريد ل. ش

Souvenir des Noces d'Or de l'Université S[t] Joseph de Beyrouth. CATALOGUE DES OUVRAGES publiés par les Professeurs et Etudiants de l'Université 1875-1925. par le **P. Louis Cheikho S. J.** *Beyrouth. Impr. Catholique*, 1925, (*pp*.85+48)

جدول منشورات المعلمين والدارسين في كلية القديس يوسف

في هذا الكتاب قسمان قسمٌ عربي يحتوي خطبة للاب لويس شيخو في اللغة العربية وتعليمها في مدرسة القديس يوسف الكلية ثمَّ يليها جدول مئتين بنيّف من الكتبة الذين تخرَّجوا فيها مع ذكر تآليفهم · وقسم افرنجي ذُكر فيهِ ما نشرهُ اساتذة الكليَّة ودارسوها في اللغة الافرنسية وسواها مدَّة الخمسين سنةَ التي مرَّت على المدرسة منذ نشأتها · فجاء مجموعاً مفيداً يشهد لما أدَّتهُ الكليّة من الخدم المشكورة لكافَّة الآداب في الوطن وفي انحاء البلاد

P. Alexis Mallon S. J: Une Hache égyptienne trouvée en Syrie, *Beyrouth, Mélanges de l'Univ. S[t] Joseph, Impr. Cath.*, 1925

فأس مصريّة وُجدت في سورية

بعد اكتشافات المسيو مونته في جبيل لم يعُدْ احد يرتاب في نفوذ مصر وآثارها على عهد الفراعنة في سواحل الشام · وهاك برهاناً جديداً على ذلك نشرهُ حضرة الاب الكسيس مالون اليسوعي · في السنة ١٩١١ اكتشف بعض الفلاحين قريباً من نهر ابرهيم فأساً صغيرة من البرونز تزن كيلوغرامين بنيّف طولها ١٩٥ مليمترًا في عرض ١٩ الى ٢٠س عليها كتابة هيروغليفيّة واسم الفرعون بِشْبِو في عهد المملكة المصريّة القديمة واحدى سلالتَيها الثالثة او الرابعة · وكفى بذلك دلالةً على قدمها فيكون الفَعَلة المصريّون لمَّا قدموا لقطع الاشجار في جهات جبيل في الالف الثالث قبل المسيح فقدوها هناك واكتُشفت حديثاً

Deux religieux maronites: le P. NEMATTALLA ALHARDINI et le P. CHARBEL. Traduit par **Joseph Carame.** *Paris, Letouzey et Ané*, 1923, *pp*. 39

الراهبان اللبنانيَّان الاب نعمة الله الحرديني والاب شربل

نشرت ترجمة هذين الراهبين الافضلين في مجلّة المشرق ٥ [١٩٠٢]: ٦٠٥ و ٢٠ [١٩٢٢]: ٢٨٩) فأحبَّ الاديب يوسف كرم ترجمان الدولة الفرنسويَّة في مراكش ان ينقلها الى الافرنسيَّة بياناً لفضل بعض اهل الشرق وإشعارًا بقداسة حياة اثنين من رجال الله اللذين نؤمّل اكرامها يوماً بعد تثبيت رومية لبرارتها وسموّ فضائلها ل · ش

GUIDE de la Société de Villégiature, Mont Liban, 1925, *Le Caire, Parladi, in-12, p.* 87

دليل شركة مصايف لبنان للسنة ١٩٢٥ (ص ١٨٧)

هذان دليلان فرنسوي وعربي عُنيت بنشرهما شركة مصايف لبنان للسنة الحاضرة وكلاهما شاهد حيّ لاصحابها الافاضل بحسن الذوق وسعة العلم باحوال الجبل وطول الباع في تدبير امور الاصطياف. وفضلُ الدليلين على الطبعات السابقة ظاهر بما أُودعا من المعلومات والاعلانات والخوارط والرسوم. فلا عجب ان المصريين بمد نظرهم لهذه الادلّة يرغبون الى الاصطياف في نواحي لبنان فنشكر الشكر الخالص للشركة المذكورة باسمنا وباسم اللبنانيين الذين استفادوا الفوائد الجمّة من تفانيها في خدمة جبلهم ونخصّ بالذكر مديرها الهمام حيدر بك المعلوف وكل الذين زيّنوا الدليلين بمقالاتهم الممتعة فاخرجوهما على صورة تجاري افضل ادلّة اوربّة الاصطيافيّة

شعراء الشام في القرن الثالث

بحث ادبي لخليل مردم بك

طُبع في دمشق في مطبعة الترقي سنة ١٩٢٥ (ص ٩٦)

هذا البحث المفيد قدّمهُ صاحبهُ الى المجمع العلمي العربي بدمشق لمناسبة انتخابهِ عضوًا فيهِ. وقد اختار اربعةً من شعراء الشام وهم العتّابي وابو تمّام وديك الجنّ والبحتري الذين ازهروا في القرن الثالث للهجرة وهو عصر الآداب العربية الذهبي عصر هارون الرشيد والمأمون. فروى اخبارهم ونُتفاً من شعرهم وأسند اليهم قولهُ في تفوّق اهل الشام على سواهم في الشعر. وتلك طريقةُ الشاميّين التي يُشير اليها قدماء الكتبة ويفضّلونها على سواها لما في سَبْك شعرهم من الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة. وانّما نأخذ على هؤلاء المنتقدين كونهم يجعلون في الشعر الرتبة الاولى للّفظ فيقدّمونه على المعنى فيزعمون انّ المعاني مشتركة بين العقلاء وانّما تتفاضل الناس في الالفاظ ورَصفها وتأليفها ونظمها (ص ١٢) وهو قول يحتاج الى مزيد ايضاح لاسيما في عهدنا الذي ترى فيهِ من التفنن في معاني الشعر التي قلّما عالجها القدماء. فأملنا من جناب الكاتب ان يتّسع في بحثه ويزيده بياناً

ل. ش

ديوان الملّاط

يشتمل على شعر الشقيقَين اللبنانيَّين تامر وشبلي ملّاط
طبع في المطبعة الادبيّة في بيروت سنة ١٩٢٥

هذان شاعران عصريّان من شعراء الشام جمعا في شعرهما بين المعاني والالفاظ وها هوذا ديوانهما بين ايدينا جمعتهُ ادارة جريدة الوطن وضمّنتهُ كثيرًا من اخبار الشقيقين الفاضلين تامر وشبلي ثمّ اودعتهُ ما حظيت بهِ من قصائدهما الغرّاء فهناك منظومات طيّبة راقية المعنى طيّبة الالفاظ يطرب القارئ لجودة مضامينها وحسن انسجامها وعلو نفسها. وقد عرف قرّاء المشرق ما امتاز به شعر «الشبل» بما نشرناهُ لهُ في المجلة من منظوماتهِ الحسنة كاغاني اسرى البوير وموت جان درك. وفي هذا الديوان عددٌ عديد من نخبة قصائدهِ التي ستخلّد لهُ كما للمرحوم شقيقهِ أطيب الذكر في قلوب مواطنيهِ بل في صدر كل الناطقين بالضاد. هذا ولا ننكر انَّ في بعض ما روي في هذا المجموع افراطًا في الغزليّات (ص ٥٨) او تطرُّفًا في بعض المزاعم الدينيّة (ص ٣٨ و ٦٢) يضطرُّنا الصدق الى نبذها وانّما يشفع بهذا القليل الكثيرُ من محاسن الديوان

كتاب شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

القسم الثاني: شعراء الدولة الامويّة تأليف الاب ل. شيخو
طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٩٢٥ (ص ١٤٤)

في هذا القسم اسماء ثلاثة عشر شاعرًا من شعراء النصرانيّة اشتهروا في عهد بني اميّة فنشرنا اخبارهم واشعارهم في اعداد المشرق ثمّ جمعناها فطبعناها هنا على حدة في ١٤٤ صفحة وسنُلحقها بتراجم الشعراء النصارى الذين ورد ذكرهم في عهد بني عبّاس ان شاء الله ل. ش

المرشدات

تأليف آلس ابكاريوس وتعريب جبرائيل جبور
طُبع في مطبعة وزنكوكراف طبّارة. بيروت ١٩٢٥ ص٢٠٩

حاولت اوانس العصر الاقتداء بفتيانهِ. وها هي ذه الس ابكاريوس قد سعت الى تنظيم حركة المرشدات للاوانس الوطنيّات تتقلّد بها في سوريّا ولبنان حركة الكشّافة

وهي ترمي بانشائها الى تقويم اخلاقهنَّ وارشادهنَّ الى الاعمال اليدويَّة والخدمة وضبط البيوت وقيادة بنات جنسهنَّ والعناية بصحَّتهنَّ. وقد وضعت لذلك هذا الكتاب وفصَّلت فيهِ قوانين جمعيَّة المرشدات وكل درجة منها وما يحتجن اليهِ من المعلومات للقيام بواجبات درجتهنَّ. وفي كلّ ذلك من الفوائد ما لا يخفى. على اننا استغربنا بعض العادات في طرائق مصافحة بعضهنَّ لبعض وفي حفلات تكريسهنَّ ونظام اجتماعاتهنَّ وتمريناتهنَّ مما يُشعر بعادات الماسونيَّة فلا يمكننا ان نثني على الكتاب ومضموناتهِ ما لم نتحقَّق ان ليس هناك علاقة مع ابناء الارملة

الوضيعة في الحكمة الخلقيَّة

الكتاب الرابع في الحرّيَّة فلسفيًا ونظرًا الى الحياة الاجتماعيَّة

للدوكتور سليمان غزاله نائب البصرة طُبع في بغداد سنة ١٩٣٤ (ص ١٨٣)

يحب جناب نائب البصرة في مجلس العراق التأسيسي معالجة المواضيع الفلسفيَّة كما يعالج الادواء الجسديَّة. ومما حاول هذه المرَّة البحث فيهِ مسألة الحرية التي يكثر فيها القال والقيل وكم يخلط فيها المعاصرون الحابلَ بالنابل لعدم تمييزهم بين اجناس الحرّيَّة وخواصها فاراد كاتب هذا الكتاب ان يدرس هذا الموضوع من كل وجوهه الفلسفيَّة والادبيَّة والاجتماعيَّة ويبين حقيقة الحرّيَّة واصلها ومفعولاتها وحدودها وما يجوز لها ويحظر عليها فجعل ابحاثهُ فصولًا ومحاورات شتى زيادةً للايضاح فاجاد. وقد اجاب على اعتراضات من ينكر وجود الحرية على انَّ في هذه الابحاث عن الحرّيَّة دقائق في التوفيق بين حرية الانسان ومشاركة الله في عمل الانسان تحتاج الى تمحيص. وقد نسب الى القديس توما (ص ٤٣) في شرح ذلك ما لا يحتاج الى ايضاح لئلَّا تُبخَس حرّيَّة الانسان (تراجع مقالتنا في القضاء والقدر في المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٨٩٩)

شهادات الكنيسة المارونيَّة السريانيَّة بانتقال

مريم العذراء بالنفس والجسد الى السماء

للاخوين الشقيقين الاب يوسف والمونسنيور بطرس حبيقة
طبعت في مطبعة الاباء اليسوعيين. بيروت ١٩٣٥ ص ٣٦+٤٦)

بمناسبة وقوع عيد انتقال العذراء الى السماء جمع حضرة الاب يوسف حبيقة

الراهب اللبناني من الكتب الطقسية المارونية الشهادات الناطقة بحقيقة انتقال العذراء مريم الى السماء نفساً وجسماً ونقل السريانية منها الى العربيَّة وعُني شقيقهُ المونسنيور بطرس منشي ورئيس مدرسة القديس بطرس في بسكنتا بترجمة تلك الشهادات الى الافرنسية وصدَّرها بثلاث قضايا لاهوتيّة عن الكنيسة وعصمتها في التعليم واعتقادها بحقيقة انتقال العذراء الى السماء. فنوصي جميع المتعبِّدين للبتول ان يقتنوا هذا المجموع ويستفيدوا من معلوماتهِ التقويَّة

قادة الفكر

تأليف الدكتور طه حسين

طبع في مصر في مطبعة الهلال سنة ١٩٢٥ (ص ١٣٢)

اختار صاحب هذا الكتاب بعض مشاهير اليونان كهوميروس وسقراط وارسطاطاليس وافلاطون واضاف اليهم الاسكندر ويوليوس قيصر ووصفهم ليس كافرادٍ ذوي اعمال شخصيّة مفردة بل كممثلي المجتمع البشري الذي عاشوا فيهِ وجسَّموا في شخصهم خواصَّهُ وافكارهُ واصبحوا بذلك كقادة الفكر في زمانهم. وهذا موضوع مبتكر لا يخلو من بعض الصحة وان كان قابلًا للوجه السلبي والمناقضة. امَّا ما زادهُ بعد ذلك في المقالة «بين عصرين» وما ذكرهُ عن السيد المسيح ونبي الاسلام فلا نسلّم بهِ الَّا بكل تحفُّظ واتقاء. ل. ش

وحي الغاب

بقلم عيسى ميخائيل سابا

طبع في بيروت بمطبعة القاموس العام سنة ١٩٢٥ (ص ٨٠)

هذه خواطر سنحت لكاتب عصري فدوَّنها في بطون الصفائح كما تبادرت الى ذهنهِ فمن قرأها وتأمَّل مضامينها شعر بحُسْن كثير من تصوُّراتها ومعانيها لولا انهُ يحسُّ ايضاً بما يخالطها من الاقوال المتبسة او المبهمة بل المزاعم الباطلة التي يُعجب بها محبُّو الانشاء العصري وهي اذا سبر العالم او الفيلسوف غورها وجدها لغطاً منافية للتعاليم الدينيّة والفلسفية الصادقة. اقرأ مثلًا فصل الكتاب «الروح والمادَّة» فانهُ يُشعر بتعليم المادّيين والزنادقة. وهذا ما نأخذه على كثيرين من الكتبة المحدثين كامين

تاب لما امكن ان تخصَّهُ الكنائس باجمها حتى كنيستهُ القبطيّة باحد اعيادها السنوية ولكانت ذكرت توبتهُ وهي ليس فقط لم تذكر شيئاً من ذلك بل تمدحهُ لجهادهِ ولدفاعهِ عن الايمان كما ورد في السنكسار القبطي فكيف يقوم هذا المديح مع ما زعمهُ حضرة القس منسى ٠ عن جحودهِ وتوبتهِ ؟ فشتّان بين التوبة والقداسة وشتّان بين جحود الايمان والجهاد في سبيلهِ

﴿بعثة ستيفانسون الى القطب الشمالي﴾ كان هذا المِسفار رحل سنة ١٩١٤ من شمالي الاسكا الى القطب الشمالي فقطع على الجليد بحر بوفور واحتلّ رأس كلِتْ على طرف ارض بَنكس الغربي وقضى هناك خمس سنين كان يقاطعها ببعثاتٍ موقتة الى ما بجوارها من الجزائر والترع شمالي ارض بنكس وفكتوريا بين الدرجة المئة من خطّ الهاجرة الى الدرجة ٨٠ فدرس تلك الانحاء درساً مدقّقاً ورسم خوارط حسنة لما كان اكتشفهُ قبلهُ الرحّالون وقد اكتشف هو عدّة جزائر مجهولة واطلق عليها اسماء لتعريفها وسبَرَ البحر تحت جليدهِ حيث كانت اسماك الفُلْك تخرج لتنشق الهواء ٠ وممّا تحقّقهُ وجود برّ واسع بين شمالي تلك الجهات وغربها ٠ وخصّ ايضاً بدرسهِ حركات الجليد على وجه المياه وممّا اثبتهُ انّ بعض تلك الانحاء اعدل هواء من سواها يمكن السكنى والمعاش فيها فعاش هو هناك من لحوم البقر المِسْك وسمك الفلك والران ٠ وعلى رأيهِ انّ البرد في نفس القطب الشمالي اخفّ منهُ في النقط الموصلة اليه ٠ ومن مكتشفاته مناجم من الفحم واصناف من الحيوانات والطيور المجهولة

﴿ينابيع القوَّة المحرّكة﴾ انّ ازدياد المعامل والاساطيل الحربيّة وترقّي الصناعة والتجارة في كل انحاء العالم كان يستدعي كل سنة إنفاق المليارات من قناطير الفحم الحجري لتحريك اجهزتها المحرّكة حتى خاف العالم من نفود المناجم التي منها يستخرج الفحم الموقد لتحريكها بالبخار ٠ فاخذت عدّة دول تطلب حلًّا لهذا المشكل ٠ واليوم يوجد ثلث دول اسوج ونروج وسويسرة التي استبدلت الفحم الحجري بالفحم الابيض اعني بقوّة المياه الجارية فغلّبت المحرّكات المائيّة على استعمال الفحم الحجري ٠ وفي ايطالية اصبحت القوّتان متوازيتين وصارت نصف ادواتها جاريةً بالقوّة المائيّة وفي الولايات المتحدة وكندا وفرنسة ازدادت القوّة المحرّكة بالغاز الطبيعي والبترول ٠ على انّ اميركة والمانية وبريطانية العظمى تستمدّ معظم ينابيع قوى محرّكاتها كما

في السابق من الفحم الحجري فانَّ اميركة تنفق وحدها ٥٦٠ مليارًا من كيلومترات هذا الفحم وبريطانية العظمى ١٩٠ مليارًا والمانية مئة مليار

﴿بين الشام والعراق﴾ يوجد اليوم طريقان بين الشام والعراق تقطعهما سيارات الاوتوموبيل الطريقة الواحدة مختصرة بالبرية من دمشق الى بغداد طولها مستقيمًا ٧٠٠ كيلومتر يمكن قطعها بعشرين ساعة ما عدا بعض ساعات للراحة فيخرج المسافر من دمشق سائرًا في الغوطة من الغرب الى الشرق الى ان يبلغ الفرات عند رماديَّة

على انَّ هذه الطريق معرَّضة لغزاة العرب وليس فيها ماء الّا في نقطة واحدة في رُطبة

والطريق الاخرى اطول منها فهي تسير من دمشق الى الجهة الشمالية حتى تبلغ القريتين ثمَّ تدمر. ثمَّ تسير في البرّ بمسافة ٤٦٠ كيلومترًا حتى تبلغ حدود العراق في كُبَيشة ثم تسير الى هيت على الفرات بعد ٦٠ كيلومترًا وتلحق منها على شاطئ الفرات الى رماديَّة حيث تحطّ سيارات الطريقة الاولى. ومن رماديَّة الى بغداد يبقى لهما ٧٠ كيلومترًا. وهذه الطريق مُريحة فيها محطَّات يستريح عندها المسافرون ولا ينقصهم الماء والمعاش. وهي تُقطع بثلاثة ايام. وصار الآن ارباب التجارة يرسلون بضائعهم على هذه الطريق وانفتحت للقطرين الشامي والعراقي ابواب تجاريَّة رائجة

﴿مرصد جديد للحركات الجويّة على وجه البحر﴾ انَّ الارصاد الجويَّة المختلفة التي كان يقوم بها الفلكيون كانت كلّها بريّة اعني انها لا تشمل الّا ربع كُرَتنا الارضيَّة وهي ناقصة مخلَّة من هذا الوجه فسدًّا لهذا الخلل اهتمَّت شركة الترنساتلانتيك ومكتب الارصاد الجويّة العامّ بانشاء مرصد بحريّ فوكلا الى المركب الفرنسوي «جاك كرتيه» ان يخوض اوقيانوس الاتلانتيك واوقيانوس الهادي ويرصد كلّ الآثار الجويَّة. ويجمع ارصاد السفن المتجوّلة في اطراف البحر ويرسل نتيجتها الى مكتب باريس فيقابل علماء الفلك تلك الارصاد وينشرونها في لوائح خاصّة تُرسَل الى عواصم اوربَّة ومراصدها . فكان لهذا العمل من الفوائد ما فتح بابًا جديدًا للعلوم الفلكية ولمعرفة كل حركات الجوّ في اقصى البلاد والبحار معًا فيرتشد بها امراء البحر ورؤساء السفن وينجوا من كثير من الاخطار التى كانوا معرَّضين لها

أسئلة وأجوبة

س سأل احد الرهبان ما معنى اسم القديس «ايليا» وهل يُعرف ابن مقامهُ قبل رجوعهِ الى الارض

اسم القديس إليَّا ومقامهُ

ج إليَّا اسم مركَّب من لفظتين عبرانيَّتين معناهما «الله (هو) الاله». أمَّا مقامهُ قبل رجوعه الى الارض فمَّا لم يوحَ به الكتاب المقدَّس. راجع في المشرق ٩ [١٩٠٦]: ٧٠٧–٧١٣، مقالتنا المطوَّلة عن إليَّا النبي ومُجمَل ما يُعرف عنهُ

س وسأل احد القرَّاء ماذا يريد بعض الكتبة بقولهم: هذا رابع المستحيلات

رابع المستحيلات

ج يشيرون الى قول الشاعر

ايقنتُ انَّ المستحيل ثلثةٌ   الغولُ والعنقاء والخلُّ الوفي

فيأخذون هنا لفظ المستحيل بمعنى «ما لا وجود لهُ» وان كان ممكناً. وللمستحيل معنى آخر وهو «ما لا يمكن وجوده» كأن يعود الزمان الذي مضى وكأن يكون الجزء اكبر من الكل وهلم جرًّا. ومعلوم ان المستحيلات بالمعنيين كثيرة لا تُحصى ولولا الشعر السابق لكان كلام القائلين «هذا رابع المستحيلات» لغوًا لا معنى لهُ

س وسأل من نيويرك نعوم افندي فانق: ١ً لماذا يفتخر العرب بحرف الضاد واي فضل لهذا الحرف؟. ٢ً من اين اشتقَّت لفظة «قانون» بمعنى آلة الطرب أهي عربيَّة؟. ٣ً هل يوجد قاموس مطبوع من العربية الى السريانيَّة؟

الناطقون بالضاد. اصل لفظة قانون. قاموس عربي سرياني

ج نجيب على (الاوَّل) انَّ الضاد احد الحروف التي تفرَّد بها العرب ولا يُحسن لفظها غيرهم ولذلك يروون عن نبي الاسلام: «انا افصح مَن نطق بالضاد». نجيب على (الثاني) ان لفظة قانون بكل معانيها العربية مشتقة من لفظة (κανών) اليونانيَّة التي بين معانيها «آلة طرب باوتار». ونجيب على (الثالث) انَّ القواميس من السريانيَّة الى سواها كثيرة كالسرياني عربي والسرياني لاتيني والسرياني انكليزي وكذلك الكلداني عربي لاحتياج العلماء الى مطالعة كتب السريان القديمة. امَّا العربي سرياني فلم ينشرهُ احد لقلَّة الكتبة في اللغة السريانية ل. ش.